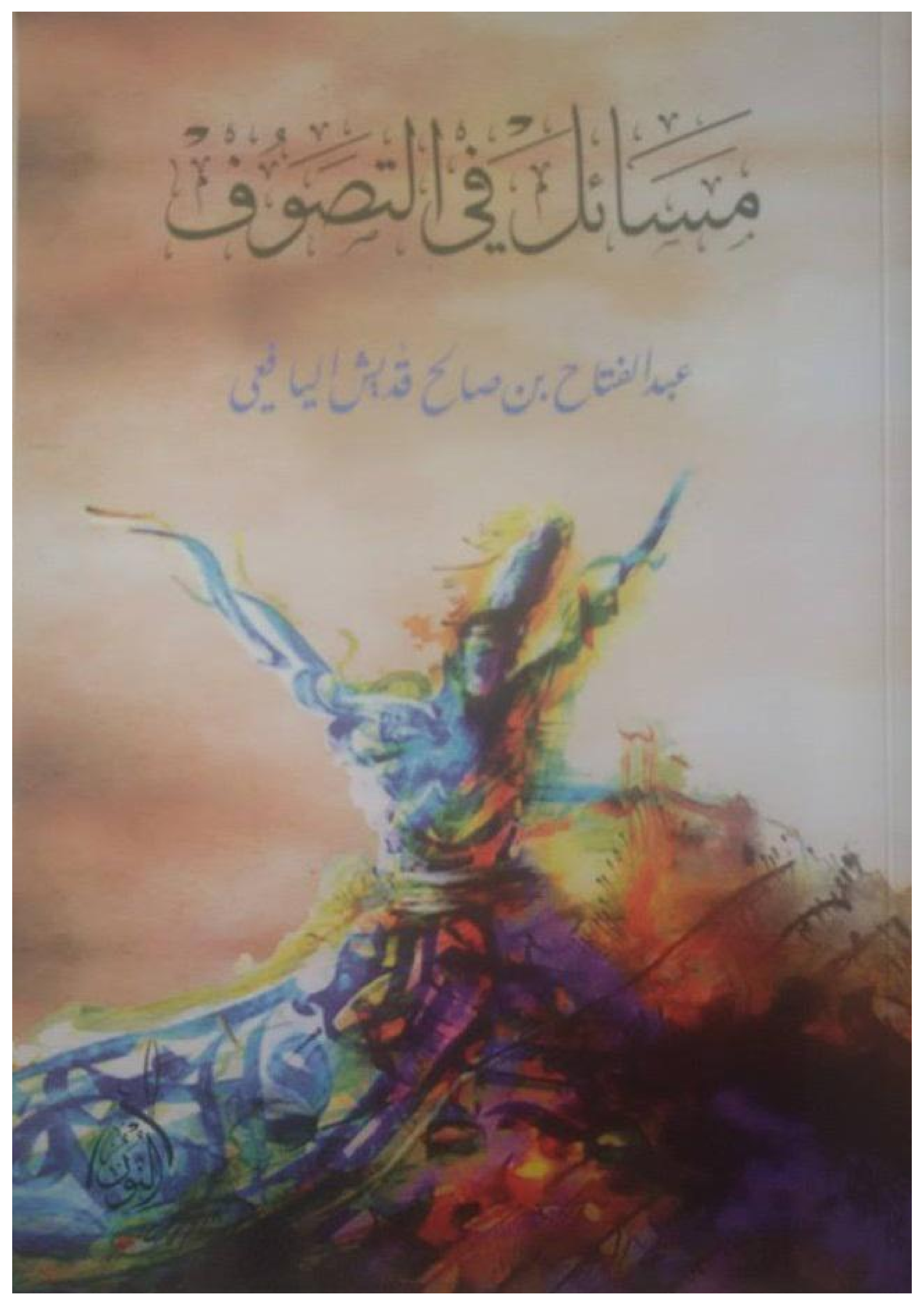

مسائل في التصوف
عبد الفتاح بن صالح قديش اليافعي

مسائل في التصوف

عبد الفتاح بن صالح قُدَيش اليافعي

الإهداء

إلى أحبتي طلبة العلم

إلى الباحثين عن الحقيقة

إلى من الحكمة ضالتهم

إلى من الحق مبتغاهم

إلى المتجردين

إلى المنصفين

أهدي هذا البحث

بسم الله الرحمن الرحيم

بين يدي الكتاب:

الحق أحق أن يتبع

١-من الكتاب :

١-قال الله تعالى : (... وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ **فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ**) سورة البقرة - الآية : ٢١٣

٢-وقال الله تعالى : (... **أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ** أَمْ مَنْ لَا يَهِدِّي إِلَّا أَنْ يُهْدَى فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ * **وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ**) سورة يونس - الآية : ٣٥ - ٣٦

٢-من السنة :

١-روى مسلم في صحيحه ٥٣٤/١ : (عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها قالت : كان نبي الله صلى الله عليه وآله وسلم([1]) إذا قام من الليل افتتح صلاته : اللهم رب جبرائيل وميكائيل وإسرافيل فاطر السماوات والأرض عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون **اهدني لما اختلف فيه من الحق بإذنك إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم**) **اه**

٢-وروى الترمذي في سننه ٣٦٤/٤ : (عن حذيفة رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : لا تكونوا إمعة تقولون إن أحسن الناس أحسنا وإن ظلموا ظلمنا ولكن وطنوا أنفسكم **إن أحسن الناس أن تحسنوا وإن أساءوا فلا تظلموا**) **اه**

([1]) التزمت في هذا الكتاب الصلاة على الآل مع الصلاة على النبي صلى الله عليه وآله وسلم لأمره صلى الله على وآله وسلم بذلك في الصلاة الإبراهيمية، ومما يجدر التنبيه عليه أني أكتب الصلاة على الآل في كل ما أحكيه من النقول حتى ولو كان المنقول عنه لم يذكر الصلاة على الآل.

٣-من أقوال أهل العلم :

-في صحيح البخاري ٢٤٦/١: (عن عبيد الله بن عدي بن خيار أنه: دخل على عثمان بن عفان رضي الله عنه وهو محصور فقال : **إذا أحسن الناس فأحسن معهم وإذا أساؤوا فاجتنب إساءتهم**) اه

-وفي صفة الصفوة ٤٨٢/١ : (عن الربيع بن سليمان قال : سمعت الشافعي يقول : **ما أوردت الحق والحجة على أحد فقبلها مني إلا هبته واعتقدت مودته، ولا كابرني على الحق أحد ودافع الحجة إلا سقط من عيني**) اه

-وقال حجة الإسلام الغزالي في المنقذ من الضلال ص ٤١ : (**علمت أن رد المذهب قبل فهمه والاطلاع على كنهه رمي في عماية**) اه

-وقال الشيخ عبد الرحمن المعلمي اليماني في كتابه القائد إلى تصحيح العقائد ص ١٣: (**الوجه الثالث [يعني من أوجه رد الحق] الكبر** :

يكون الإنسان على جهالة أو باطل فيجيء آخر فيبين له الحجة فيرى أنه إن اعترف كان معنى ذلك اعترافه بأنه ناقص وأن ذلك الرجل هو الذي هداه **ولهذا ترى من المنتسبين إلى العلم من لا يشق عليه الاعتراف بالخطأ إذا كان الحق تبين له ببحثه ونظره ويشق عليه ذلك إذا كان غيره هو الذي بين له**

الوجه الرابع : الحسد :

وذلك إذا كان غيره هو الذي بين الحق فيرى أن اعترافه بذلك الحق يكون اعترافا لذلك المبين بالعلم والفضل والإصابة فيعظم ذلك في عيون الناس ولعله يتبعه كثير منهم **وإنك لتجد من المنتسبين إلى العلم من يحرص على تخطئة غيره من العلماء ولو بالباطل حسدا منه لهم ومحاولة لحط منزلتهم عند الناس**) اه

الرجوع إلى الحق خير من التمادي في الباطل

-في كتاب عمر لأبي موسى رضي الله عنهما : (لا يمنعك قضاء قضيته ثم راجعت فيه نفسك فهديت لرشده أن تنقضه **فإن الحق قديم لا ينقضه شيء والرجوع إلى الحق خير من**

التمادي في الباطل واعلم انه من تزين للناس بغير ما يعلم الله شانه الله) رواه الدارقطني والبيهقي اه خلاصة البدر المنير ٤٣٥/٢ والتلخيص الحبير ١٩٦/٤ والاستذكار ١٠٣/٧

-وفي تاريخ بغداد ٣٠٨/١٠ : (عن عبد الرحمن بن مهدي قال : كنا في جنازة فيها عبيد الله بن الحسن وهو على القضاء فلما وضع السرير جلس وجلس الناس حوله قال فسألته عن مسألة فغلط فيها فقلت أصلحك الله القول في هذه المسألة كذا وكذا إلا أني لم أرد هذه إنما أردت أن أرفعك إلى ما هو أكبر منها فاطرق ساعة ثم رفع رأسه **فقال** : **إذا أرجع وأنا صاغر إذا أرجع وأنا صاغر لأن أكون ذنبا في الحق أحب إلي من أن أكون رأسا في الباطل**) **اه**

ورواها ابن الجوزي في المنتظم ٢٩٨/٦ وذكر القصة المزي في تهذيب الكمال ٢٥/١٩ وابن كثير في البداية والنهاية ١٥١/١٠

-وفي كتاب الروح لابن القيم ص ١٠ : (قال الخلال وأخبرني الحسن بن أحمد الوراق حدثنى على بن موسى الحداد وكان صدوقا قال كنت مع أحمد بن حنبل ومحمد بن قدامة الجوهرى في جنازة فلما دفن الميت جلس رجل ضرير يقرأ عند القبر فقال له أحمد يا هذا إن القراءة عند القبر بدعة

فلما خرجنا من المقابر قال محمد بن قدامة لأحمد بن حنبل يا أبا عبد الله ما تقول في مبشر الحلبي قال ثقة قال كتبت عنه شيئا قال نعم فأخبرني مبشر عن عبد الرحمن بن العلاء اللجلاج عن أبيه أنه أوصى إذا دفن أن يقرأ عند رأسه بفاتحة البقرة وخاتمتها وقال سمعت ابن عمر يوصي بذلك **فقال له أحمد فارجع وقل للرجل يقرأ**) **اه**

-وفي طبقات الشافعية الكبرى لابن السبكي ٢١٤/٨ : (حكى القاضي عز الدين الهكاري ابن خطيب الأشمونين في مصنف له ذكر فيه سيرة الشيخ عز الدين **أن الشيخ عز الدين أفتى مرة بشيء ثم ظهر له أنه خطأ فنادى في مصر والقاهرة على نفسه من أفتى له فلان بكذا فلا يعمل به فإنه خطأ**) **اه**

-وفي مجموع الفتاوى لابن تيمية ٥١٦/٢١ : (لكن قد تبين لغيرهم أن هذه الزيادة وقعت خطأ في الحديث ليست من كلام النبي صلى الله عليه وآله وسلم وهذا هو الذي تبين لنا ولغيرنا ونحن جازمون بأن هذه الزيادة ليست من كلام النبي **فلذلك رجعنا عن الإفتاء بها بعد أن كنا نفتي بها أولا فإن الرجوع إلى الحق خير من التمادي في الباطل)اه**

أخي القارئ الكريم :

– قد يكون الحق على خلاف بعض ما ورثناه من آبائنا أو تلقيناه من مشايخنا

– وقد يكون الحق في صف المغمور لا المشهور فإبليس –عياذا بالله منه– فاقت شهرته الآفاق ، وكم من الأنبياء والمرسلين من لا نعرف أسماءهم فضلا عن أخبارهم

– وقد يكون الحق في صف الصغير لا الكبير فقد كان ابن عباس مقدما على الأشياخ ([2])

– وقد يكون الحق في صف القليل لا الكثير ، أو الضعيف لا القوي ، أو الفقير لا الغني ... إلخ فالحق لا يعرف كثرة ولا قلة ، ولا شهرة ولا خفاء ، ولا صغرا ولا كبرا ، ولا ضعفا ولا قوة ، ولا غنى ولا فقرا ...إن الحق لا يعرف إلا الحجة والبرهان

---

[2]) في الآداب الشرعية لابن مفلح ٢/١١٠ : فصل في أخذ العلم عن أهله وإن كانوا صغار السن:

- قال الإمام أحمد : بلغني عن ابن عيينة قال: الغلام أستاذ إذا كان ثقة
- وقال علي بن المديني: لأن أسأل أحمد بن حنبل عن مسألة فيفتيني أحب إلي من أن أسأل أبا عاصم وابن داود ، إن العلم ليس بالسن
- وروى الخلال من حديث عبد الرزاق عن معمر عن ا لزهري قال: قال عمر رضي الله عنه: إن العلم ليس عن حداثة السن ولا قدمه ولكن الله تعالى يضعه حيث يشاء
- وقال وكيع : لا يكون الرجل عالما حتى يسمع ممن هو أسن منه ومن هو مثله ومن هو دونه في السن هذه طريقة الإمام أحمد...
- وفي فنون ابن عقيل وجدت في تعاليق محقق أن سبعة من العلماء مات كل واحد منهم وله ست وثلاثون سنة فعجبت من قصور أعمارهم مع بلوغهم الغاية فيما كانوا فيه فمنهم الإسكندر ذو القرنين وأبو مسلم الخراساني وابن المقفع وسيبويه وأبو تمام الطائي وإبراهيم النظام وابن الراوندي... انتهى كلامه
- وكان القراء أصحاب مشورة عمر كهولاً كانوا أو شباناً ، وكان وقافاً عند كتاب الله ، رواه البخاري وغيره.
- وفي :" الصحيحين "عن ابن عباس – رضي الله عنه – قال : كنت أقرئ رجالاً من المهاجرين منهم : عبد الرحمن بن عوف.
- قال ابن الجزري في كشف المشكل: فيه تنبيه على أخذ العلم من أهله وأن صغرت أسنانهم أو قلت أقدارهم .
- وقد كان حكيم بن حزام يقرأ على معاذ بن جبل ، فقيل له : تقرأ على هذا الغلام الخزرجى ؟ فقال :إنما أهلكنا التكبر) اه

أخي القارئ الكريم :

الحكمة ضالة المؤمن حيث وجدها أخذها وعمل بها ولا ينتظر بذلك إذنا من أمير أو شيخ أو أي أحد... (آمنتم له قبل أن آذن لكم) فالحذر الحذر من أن تسلم عقلك لغيرك بل اعرف الرجال بالحق ولا تعرف الحق بالرجال قال الإمام الغزالي في المنقذ من الضلال ص ٥٢ : (**عادة ضعفاء العقول يعرفون الحق بالرجال لا الرجال بالحق** والعاقل يقتدي بقول أمير المؤمنين علي رضي الله عنه حيث قال : (**لا تعرف الحق بالرجال بل اعرف الحق تعرف أهله**) والعارف العاقل يعرف الحق ثم ينظر في نفس القول **فإن كان حقا قبله سواء كان قائله مبطلا أو محقا**) اه

وقال ص ٥٤ : (وهذا وهم باطل وهو غالب على أكثر الخلق **فإذا نسبت الكلام وأسندته إلى قائل حسن فيه اعتقادهم قبلوه وإن كان باطلا وإن أسندته إلى من ساء فيه اعتقادهم ردوه وإن كان حقا** وهذا غاية الضلال) اه

وقد قال فرعون عن موسى عليه السلام (إني أخاف أن يبدل دينكم أو أن يظهر في الأرض الفساد)

وقيل للطفيل بن عمرو الدوسي احذر محمدا ولا تستمتع له فإنه سيسحرك و... ولم يزالوا به حتى حشا في أذنيه الكرسف (القطن) ، ولكن .. (والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون)

وهذا مصعب بن عمير رضي الله عنه عندما قال له أسيد بن حضير ولصاحبه : ما جاء بكما إلينا تسفهان ضعفاءنا ؟ اعتزلانا إن كانت لكما بأنفسكما حاجة قال له مصعب: (**أو تجلس فتسمع فإن رضيت أمرا قبلته وإن كرهته كففنا عنك ما تكره**)

وهذه قصة شيقة وذات عبرة في نفس الوقت ، رواها الخطيب البغدادي في تاريخه ١٣/٣٣٨ بسنده إلى : (عبد الله بن المبارك قال : قدمت الشام على الأوزاعي فرأيته ببيروت فقال لي يا خراساني من هذا المبتدع الذي خرج بالكوفة يكنى أبا حنيفة فرجعت إلى بيتي فأقبلت على كتب أبي حنيفة فأخرجت منها مسائل من جياد المسائل وبقيت في ذلك ثلاثة أيام فجئت يوم الثالث وهو مؤذن مسجدهم وإمامهم والكتاب في يدي فقال :

أي شيء هذا الكتاب فناولته فنظر في مسألة منها وقعت عليها قال النعمان فما زال قائما بعد ما أذن حتى قرأ صدرا من الكتاب ثم وضع الكتاب في كمه ثم أقام وصلى ثم أخرج الكتاب حتى أتى عليها فقال لي : يا خراساني من النعمان بن ثابت هذا

قلت: شيخ لقيته بالعراق فقال: هذا نبيل من المشايخ اذهب فاستكثر منه ، قلت : هذا أبو حنيفة الذي نهيت عنه) اه

وفي رواية أخرى ذكرها الشيخ الكاندهلوي في شرحه على الموطأ ٨٨/١ : (أن ابن المبارك قال : ثم التقينا بمكة فرأيت الأوزاعي يجاري أبا حنيفة في تلك المسائل والإمام يكشف له بأكثر مما كتبت عنه فلما افترقنا قلت للأوزاعي : كيف رأيته ؟

قال: غبطت الرجل بكثرة علمه ووفور عقله وأستغفر الله تعالى لقد كنت في غلط ظاهر الزم الرجل فإنه بخلاف ما بلغني عنه)اه

أخي القارئ الكريم:

الفقير مستعد للتواصل مع:

- من يرغب في معرفة المزيد حول المواضيع أو يستشكل أمرا ورد في الأبحاث
- أومن يريد أن ينصح ويصحح ويصوب ، وما أحب ذلك إلي إذا كان بآدابه
- وذلك على عنواني المبين في آخر هذا التقديم

وأختم هذا التقديم بقول لابن قتيبة يكتب بماء الذهب:

-قال الإمام ابن قتيبة في كتابه الاختلاف في اللفظ والرد على الجهمية والمشبهة ص١٠:

(**وسيوافق قولي هذا من الناس ثلاثة :**

- **رجلا منقادا سمع قوما يقولون فقال كما قالوا** لا يرعوي ولا يرجع لأنه لم يعتقد الأمر بنظر فيرجع عنه بنظر
- **ورجلا تطمح به عزة الرياسة وطاعة الإخوان وحب الشهرة** فليس يرد عزته ولا يثني عنانه إلا الذي خلق إن شاء ، لأن في رجوعه إقراره بالغلط واعترافه بالجهل وتأبى عليه الأنفة وفي ذلك أيضا تشتت جمع وانقطاع نظام واختلاف إخوان عقدتهم له النحلة والنفوس لا تطيب بذلك إلا من عصمه الله ونجاه

- **ورجلا مسترشدا يريد الله بعمله لا تأخذه فيه لومة لائم** ولا تدخله من مفارق وحشة ولا تلفته عن الحق أنفة فإلى هذا بالقول قصدنا وإياه أردنا) اه

عبد الفتاح بن صالح قديش اليافعي

اليمن – صنعاء

تلفون سيار : ٠٠٩٦٧/٧١١٤٥٦٦٠٨

بريد إلكتروني : afattah31@hotmail.com

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه ومن والاه وبعد :

فإن أعلى مراتب الدين ولب الإسلام وروحه هو الوصول إلى مقام الإحسان وهو أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك، والطريق لتحقيق هذا المقام هو التزكية والسلوك، وقد كان الأئمة على مر العصور يسمون ذلك بعلم التصوف، والناس تجاه التصوف ما بين إفراط وتفريط وسط :

- فأفرطَ أُناسٌ فذموه بإطلاق ونظروا إلى ما في بعض من انتسب إليه من مساوي فحكموا على الكل بذلك
- وفرط أناس فقبلوا ما جاء عن كل من انتسب إلى التصوف وقد انتسب إليه من يقول بالوحدة والحلول وإسقاط التكاليف وغير ذلك من الانحرافات
- وتوسط أناس فقالوا : التصوف بمعناه السابق كله حسن لكن المنتسبين إليه منهم من هو متحقق بذلك المعنى ومنهم من يسعى إليه ويتشبه بأهله ومنهم من اهتم بالرسم دون المضمون ومنهم من انحرف عن ذلك المعنى كما تقدم

وهذه مسائل متفرقة في التصوف ذكرت فيها بعض كلام أهل العلم في تلك المسائل وقد حرصت على أن آتي بكلام أهل العلم الذي يقبلهم من أعنيه بقراءة هذه المسائل، والله أسأل أن ينفع بها وأن يجعها سببا في اعتدال المفرطين والمفرطين في هذا الباب

عبد الفتاح بن صالح قديش اليافعي

اليمن – صنعاء

ذو الحجة / ١٤٢٧ هـ

المسألة الأولى

معنى التصوف وأهميته ومدح أهله

لا يهمنا هنا المعنى اللغوي للتصوف واختلاف أهل العلم في اشتقاقه لكن الذي يهمنا هنا هو المعنى الاصطلاحي للتصوف ، وأيضا لا يهمنا هنا ذكر خلاف العلماء في المعنى الاصطلاحي ، لأن بعضهم عرف التصوف بالثمار أو ببعض الثمار وبعضهم عرفه ببعض المقامات أو بعض الأحوال ... ألخ

ولكن الذي يهمنا هنا هو خلاصة المعنى الاصطلاحي وزبدته وهو : تزكية النفس وتربيتها للوصول بها إلى الاستقامة مع الحق والاستقامة مع الخلق بالعلم والعمل والتخلية والتحلية ، والترقي بها للوصول إلى الله عز وجل أي الحضور معه سبحانه في كل حال

وهذا في الحقيقة هو مقام الإحسان الوارد في حديث جبريل وهو معنى سامٍ ونبيل وجميل ومحمود ومطلوب شرعا بل هو روح الإسلام ولبه ، قال الإمام الغزالي : (اعلم أن التصوف له خصلتان : **الاستقامة مع الله تعالى ، والسكون مع الخلق فمن استقام مع الله عز وجل، وأحسن خلقه بالناس، وعاملهم بالحلم فهو صوفي** ، والاستقامة أن يفدي حظ نفسه على أمر الله تعالى ، وحسن الخلق مع الناس أن لا تحمل الناس على مراد نفسك ، بل تحمل نفسك على مرادهم ، ما لم يخالفوا الشرع) اه من أيها الولد ص ٤٨

وقال أيضا : (**طريقتهم إنما تتم بعلم وعمل ؛ وكان حاصل علومهم قطع عقبات النفس. والتنزه عن أخلاقها المذمومة وصفاتها الخبيثة** ، حتى يتوصل بها إلى تخلية القلب عن غير الله تعالى وتحليته بذكر الله)اه من المنقذ من الضلال ١٤٥

فالتصوف الحق يعنى بصلاح القلب وتطهيره من الآثام ، وكذا تطهير الجوارح، وذلك فرض عين على كل مسلم (يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم) ، (إن الله لا ينظر إلى صوركم ولا إلى أجسامكم ولكن ينظر إلى قلوبكم) ، (ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله)

قال الغزالي في الإحياء ١/١٥: **(وما ذكره الصوفية من فهم خواطر العدو ولمة الملك حق أيضا ولكن في حق من يتصدى له فإذا كان الغالب أن الإنسان لا ينفك عن دواعي الشر**

والرياء والحسد فيلزمه أن يتعلم من علم ربع المهلكات ما يرى نفسه محتاجا إليه، وكيف لا يجب عليه وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ثلاث مهلكات شح مطاع وهوى متبع وإعجاب المرء بنفسه) **ولا ينفك عنها بشر، وبقية ما سنذكره من مذمومات أحوال القلب كالكبر والعجب وأخواتها تتبع هذه الثلاث المهلكات وإزالتها فرض عين**

ولا يمكن إزالتها إلا بمعرفة حدودها ومعرفة أسبابها ومعرفة علاماتها ومعرفة علاجها فإن من لا يعرف الشر يقع فيه والعلاج هو مقابلة السبب بضده وكيف يمكن دون معرفة السبب والمسبب)اه

ولذا عد ابن تيمية الصوفي الذي يدخل في الوقف على الصوفية هو من تتوفر فيه ثلاثة شروط:

- الأول : أن يكون عدلا في دينه
- الثاني : أن يكون ملازما لغالب الآداب الشرعية في غالب الأوقات
- الثالث : أن يكون قانعا بالكفاية من الرزق

ففي مطالب أولي النهى ٤/٢٨٨: (**والصوفية: هم المشتغلون بالعبادات في غالب الأوقات المعرضون عن الدنيا) المتبتلون للعبادة وتصفية النفس من الأخلاق المذمومة** (فمن كان منهم – أي : الصوفية – جماعا للمال ولم يتخلق بالأخلاق المحمودة ولا تأدب بالآداب الشرعية) غالبا لا آداب وضعية إذ لا أثر لما وضعوه من الآداب الغير المطلوبة في الشرع أو كان فاسقا لم يستحق شيئا من الوقف على الصوفية، **قاله الشيخ تقي الدين لعدم دخوله فيهم، وقال: الصوفي الذي يدخل في الوقف على الصوفية يعتبر له ثلاثة شروط:**

- **الأول** : أن يكون عدلا في دينه
- **الثاني** : أن يكون ملازما لغالب الآداب الشرعية في غالب الأوقات وإن لم تكن واجبة كآداب الأكل والشرب واللباس والنوم والسفر والصحبة والمعاملة مع الخلق إلى غير ذلك من آداب الشريعة قولا وفعلا (ولا يلتفت لما أحدثه) بعض (المتصوفة) من الآداب التي لا أصل لها في الدين (من التزام شكل مخصوص) في اللبسة ونحوها (كلباس خرقة متعارفة عندهم من يد شيخ) وغير ذلك مما لا يستحب في الشريعة إذ لا دليل على اشتراطه في الشرع (بل ما وافق الكتاب والسنة) فهو حق يصار إليه وما لا يكون كذلك فهو باطل لا يعول إليه فلا يلتفت إلى اشتراطه وإن كان مائة شرط قضاء الله أحق وشرط الله أوثق

- **الثالث** : أن يكون قانعا بالكفاية من الرزق بحيث لا يمسك ما يفضل عن حاجته ، **هذا ملخص ما ذكره في كتاب الوقف من الفتاوى المصرية**) اه

ثم وقفت على كلام الشيخ تقي الدين ففي مختصر الفتاوى المصرية (ج ١ / ص ٣٥٨): (**وأما الصوفي الذي يدخل في الوقف على الصوفية فله ثلاثة شروط:**

- أحدها أن يكون عدلا في دينه
- والثاني أن يكون ملازما لغالب الآداب الشرعية في غالب الأوقات وإن لم تكن واجبة مثل أدب الأكل والشرب واللباس والنوم والسفر والركوب والصحبة والعشرة وحسن المعاملة مع الخلق إلى غير ذلك من الآداب الشرعية قولا وفعلا ولا يلتفت إلى ما أحدثه بعض المتصوفة من لآداب التي لا أصل لها في الدين من التزام شكل مخصوص في اللبسة ونحوهما مما لا يستحب في الشريعة فإن مبنى الآداب على اتباع السنة ولا يلتفت إلى ما يهذر به بعض المتفقهة من آداب ظنها مشروعة يعتقد لقلة علمه أن ذلك ليس من آداب الشريعة لكونه ليس فيما بلغه من العلم الاعتبار بالآداب بما جاءت به الشريعة قولا وفعلا وتركا
- والشرط الثالث في الصوفي قناعته بالكفاف من الرزق بحيث لا يمسك في الدنيا ما يفضل عن حاجته فمن كان جامعا لفضول المال لم يكن من الصوفية)اه

الهدف من التصوف :

إن الهدف من التصوف هو تحقيق سعادة الدارين سعادة الدنيا بمعرفة الله والأنس به وهذه هي جنة الدنيا وسعادة الآخرة بالحصول على رضا الله وهذه هي جنة الآخرة

قال ابن القيم في الوابل الصيب ص ٦٧ : (وهذا عكس **أهل السعادة والفلاح فإن حياتهم في الدنيا أطيب الحياة ولهم في البرزخ وفي الآخرة أفضل الثواب** .

قال تعالى : (من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة) فهذا في الدنيا، ثم قال : (ولنجزيهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون) فهذا في البرزخ والآخرة، وقال تعالى : (والذين هاجروا في الله من بعد ما ظلموا لنبوئنهم في الدنيا حسنة ولأجر الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون)، وقال تعالى : (وان استغفروا ربكم ثم توبوا إليه يمتعكم متاعا حسنا إلى اجل مسمى ويؤت كل ذي فضل فضله)، وقال تعالى : (قل يا عبادي الذين آمنوا اتقوا

ربكم للذين احسنوا في هذه الدنيا حسنة و ارض الله واسعة إنما يوفي الصابرون أجرهم بغير حساب)

فهذه أربعة مواضيع ذكر تعالى فيها أنه يجزي المحسن بإحسانه جزاءين جزاء في الدنيا وجزاء في الآخرة فالإحسان له جزاء معجل ولا بد والإساءة لها جزاء معجل ولابد ولو لم يكن إلا ما يجازي به المحسن من انشراح صدره في انفساح قلبه وسروره ولذاته بمعاملة ربه عز وجل وطاعته وذكره ونعيم روحه بمحبته وذكره وفرحه بربه سبحانه وتعالى اعظم مما يفرح القريب من السلطان الكريم عليه بسلطانه

وما يجازي به المسيء من ضيق الصدر وقسوة القلب وتشتته وظلمته وحزازاته وغمه وهمه وحزنه وخوفه وهذا أمر لا يكاد من له أدنى حس وحياة يرتاب فيه بل الغموم والهموم والأحزان والضيق عقوبات عاجلة ونار دنيوية وجهنم حاضرة والإقبال على الله تعالى والإنابة إليه والرضاء به وعنه وامتلاء القلب من محبته واللهج بذكره والفرح والسرور بمعرفته ثواب عاجل وجنة وعيش لا نسبة لعيش الملوك إليه البتة

وسمعت شيخ الإسلام ابن تيمية قدس الله روحه يقول : **إن في الدنيا جنة من لم يدخلها لا يدخل جنة الآخرة** ، وقال لي مرة : **ما يصنع أعدائي بي أنا جنتي وبستاني في صدري أنى رحت فهي معي لا تفارقني إن حبسي خلوة وقتلي شهادة وإخراجي من بلدي سياحة** ، وكان يقول في محبسه في القلعة : لو بذلت ملء هذه القلعة ذهبا ما عدل عندي شكر هذه النعمة أو قال ما جزيتهم على ما تسببوا لي فيه من الخير ونحو هذا ،وكان يقول في سجوده وهو محبوس : اللهم اعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك ما شاء الله

وقال لي مرة : **المحبوس من حبس قلبه عن ربه تعالى والمأسور من أسره هواه** ، ولما دخل إلى القلعة وصار داخل سورها نظر إليه وقال : فضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب

وعلم الله ما رأيت أحدا أطيب عيشا منه قط مع كل ما كان فيه من ضيق العيش وخلاف الرفاهية والنعيم بل ضدها ومع ما كان فيه من الحبس والتهديد والإرهاق وهو مع ذلك من أطيب الناس عيشا وأشرحهم صدرا وأقواهم قلبا وأسرهم نفسا تلوح نضرة النعيم على وجهه

وكنا إذا اشتد بنا الخوف وساءت منا الظنون وضاقت بنا الأرض أتيناه فما هو إلا أن نراه ونسمع كلامه فيذهب ذلك كله وينقلب انشراحها وقوة ويقينا وطمأنينة

فسبحان من اشهد عباده جنته قبل لقائه وفتح لهم أبوابها في دار العمل فاتاهم من روحها ونسيمها وطيبها ما استفرغ قواهم لطلبها والمسابقة إليها

- وكان بعض العارفين يقول لو علم الملوك وأبناء الملوك ما نحن فيه لجالدونا عليه بالسيوف
- وقال آخر : مساكين أهل الدنيا خرجوا منها وما ذاقوا أطيب ما فيها قيل و ما أطيب ما فيها قال محبة الله تعالى ومعرفته وذكره أو نحو هذا
- وقال آخر : انه لتمر بالقلب أوقات يرقص فيها طربا
- وقال : آخر انه لتمر بي أوقات أقول إن كان أهل الجنة في مثل هذا انهم لفي عيش طيب

فبمحبة الله تعالى ومعرفته ودوام ذكره والسكون إليه والطمأنينة إليه وإفراده بالحب والخوف والرجاء والتوكل والمعاملة بحيث يكون هو وحده المستولي على هموم العبد وعزماته وإرادته هو جنة الدنيا والنعيم الذي لا يشبهه نعيم وهو قرة عين المحبين وحياة العارفين وإنما تقر عيون الناس به على حسب قرة أعينهم بالله عز وجل فمن قرت عينه بالله قرت به كل عين ومن لم تقر عينه بالله تقطعت نفسه على الدنيا حسرات) اه

المنحرفون عن التصوف الحق :

ما سبق هو المراد من التصوف عند أهله وواضعيه وعليه فالتصوف كله حسن وجميل ، لكن المنتسبين إلى التصوف قسمان :

- قسم مشى على هذا المعنى وسعى إليه وهو حال أكثر المتقدمين من أهل السلوك
- وقسم انحرف عنه وحاد وهو حال كثير من المتأخرين

وهؤلاء المنحرفون عن التصوف ممن انتسب إليه أقسام :

- قسم انحرف في الاعتقاد كالقائلين بوحدة الوجود أو التجسيم أو إسقاط التكاليف ونحو ذلك من الاعتقادات الباطلة
- وقسم انحرف في المقصد فصار مراده بالتصوف ليس الوصول إلى الله بل الوصول إلى الخلق بجمع المادة والارتزاق وتحقيق أغراض النفس إما من الحاكم أو من المحكوم

- وقسم بقي في رسم التصوف وشكله وشغل به عن مقصده ومعناه ومضمونه فهو مهتم بالمظهر دون المخبر وظن أن ذلك هو التصوف

قال الإمام ابن تيمية كما في مجموع الفتاوى ١١/١٧ : (تنازع الناس في طريقهم :

- فطائفة ذمت الصوفية والتصوف وقالوا أنهم مبتدعون خارجون عن السنة ونقل عن طائفة من الأئمة في ذلك من الكلام ما هو معروف وتبعهم على ذلك طوائف من أهل الفقه والكلام
- وطائفة غلت فيهم وادعوا انهم أفضل الخلق وأكملهم بعد الأنبياء وكلا طرفي هذه الأمور ذميم
- **والصواب أنهم مجتهدون في طاعة الله كما اجتهد غيرهم من أهل طاعة الله ففيهم السابق المقرب بحسب اجتهاده وفيهم المقتصد** الذي هو من أهل اليمين وفى كل من الصنفين من قد يجتهد فيخطئ وفيهم من يذنب فيتوب أو لا يتوب
- ومن المنتسبين إليهم من هو ظالم لنفسه عاص لربه وقد انتسب إليهم طوائف من أهل البدع والزندقة ولكن عند المحققين من أهل التصوف ليسوا منهم كالحلاج مثلا فان أكثر مشايخ الطريق أنكروه وأخرجوه عن الطريق مثل الجنيد بن محمد سيد الطائفة وغيره كما ذكر ذلك الشيخ أبو عبد الرحمن السلمي في طبقات الصوفية وذكره الحافظ أبو بكر الخطيب في تاريخ بغداد) اه

وقال ابن تيمية أيضا كما في مجموع الفتاوى ١٠/٨٢ : (وكان المشايخ المصنفون في السنة يذكرون في عقائدهم مجانبة من يكثر دعوى المحبة والخوض فيها من غير خشية لما في ذلك من الفساد الذي وقع فيه طوائف من المتصوفة، وما وقع في هؤلاء من فساد الاعتقاد والأعمال أوجب إنكار الطوائف **لأصل طريقة المتصوفة** بالكلية **حتى صار المنحرفون صنفين** :

- صنف يقر بحقها وباطلها
- **وصنف ينكر حقها وباطلها** كما عليه طوائف من أهل الكلام والفقه
- **والصواب إنما هو الإقرار بما فيها وفى غيرها من موافقة الكتاب والسنة والإنكار لما فيها وفى غيرها من مخالفة الكتاب والسنة) اه**

وهذا الانحراف في بعض المنتسبين إلى التصوف لا يعود على الأصل بالنقض كما ذكر ذلك ابن تيمية فيما سبق فكما أن هناك من المنتسبين إلى الحديث من هو منحرف في اعتقاده أو

مقصده ومع ذلك لم يعد على الأصل بالنقض وقل مثل ذلك في المنتسبين إلى اللغة والأصول وو ... لخ فكذلك التصوف

وكلامنا هنا إنما هو عن التصوف الحق بمعناه عند واضعيه فإن قال قائل أنا أسمي هذا المعنى الحسن بالتزكية أو بالسلوك أو الجانب الروحي ... إلخ ، فنقول : لا مشاحة في الاصطلاح والعبرة بالحقائق لا بالمسميات ،كما قيل (العبرة بالمقاصد والمعاني لا بالألفاظ والمباني)

قال الشيخ عبد القادر عيسى في كتابه حقائق عن التصوف ص ٥ : (... وعلى كلٍّ فإننا لا نهتم بالتعابير والألفاظ، بقَدْرِ اهتمامنا بالحقائق والأسس. ونحن إذ ندعو إلى التصوف إنما نقصد به تزكية النفوس وصفاء القلوب، وإصلاح الأخلاق، والوصول إلى مرتبة الإحسان، نحن نسمي ذلك تصوفاً .

وإن شئت فسمه الجانب الروحي في الإسلام، أو الجانب الإحساني، أو الجانب الأخلاقي، أو سمه ما شئت مما يتفق مع حقيقته وجوهره؛ إلاَّ أن علماء الأمة قد توارثوا اسم التصوف وحقيقته عن أسلافهم من المرشدين منذ صدر الإسلام حتى يومنا هذا، فصار عُرفاً فيهم .) اه

من أقوال الأئمة الأعلام في مدح التصوف الحق وأهله :

وإليك الآن بعض أقوال أهل العلم من الأئمة المشهورين في أهمية التصوف ومدح رجالاته :

الإمام أبو حنيفة :

في شرح الحصكفي المسمى بالدر المختار ١ / ٤٣ : (أن أبا علي الدقاق قال : أنا أخذت هذه الطريقة من أبي القاسم النصرابادي ، و قال أبو القاسم : أنا أخذته من الشبلي ، و هو من السري السقطي ، وهو من معروف الكرخي ، وهو من داود الطائي ، **وهو أخذ العلم والطريقة من أبي حنيفة رضي الله عنه ، وكل منهم أثنى عليه وأقر بفضله) اه**

الإمام مالك :

في حاشية العدوي على شرح الزرقاني على العزية ٣ /١٩٥ وفي مرقاة المفاتيح ٤٧٨/١ وشرح عين العلم وزين الحلم لملا علي القاري ٣٣/١ : (قال الإمام مالك : **مَنْ تفقَّهَ ولم يتصوف فقد تفسق** ، ومَنْ تصوَّف ولم يتفقه فقد تزندق ، **ومن جمعَ بينهما فقد تحقَّق**) **اه**

الإمام الشافعي :

في مدارج السالكين ١٢٨/٣ :(قال الشافعي رضي الله عنه : صحبت الصوفية فما انتفعت منهم إلا بكلمتين ، سمعتهم يقولون : الوقت سيف فإن قطعته وإلا قطعك ، والنفس إن لم تشغلها بالحق وإلا شغلتك بالباطل .

قلت[القائل هو ابن القيم] : يا لهما من كلمتين ، ما أنفعهما وأجمعهما ، وأدلهما على علو همة قائلهما ، ويقظته . **ويكفي في هذا ثناء الشافعي على طائفة هذا قدر كلماتهم**) **اه**

وقال السيوطي في تأييد الحقيقة العلية ص١٥ : (قال الإمام الشافعي رحمه الله تعالى : صحبت الصوفية فلم أستفد منهم سوى حرفين ، وفي رواية سوى ثلاث كلمات:

قولهم: الوقت سيف إن لم تقطعه قطعك. وقولهم: نفسَك إن لم تشغلها بالحق شغلتك بالباطل. وقولهم: العدم عصمة) اه

وفي كشف الخفاء ومزيل الإلباس للعجلوني ١ /٣٤١ : (قال الشافعي : حُبِّبَ إِلَيَّ من دنياكم ثلاث: تركُ التكلف، وعِشرةُ الخلق بالتلطُّف، **والاقتداء بطريق أهل التصوف**) اه

تنبيه :

ورد عن الإمام الشافعي ما ظاهره ذم التصوف فروى البيهقي في كتابه مناقب الشافعي ص٢٠٧-٢٠٩ بسنده عن الإمام الشافعي قال : (لو أن رجلا تصوف في أول النهار لم يأت عليه الظهر إلا وجدته أحمق، وبسنده إلى الإمام الشافعي قال :ما رأيت صوفيا عاقلا قط إلا مسلم الخواص

قال البيهقي بعد رواية ذلك : **قلت** : **وإنما أراد من دخل في الصوفية واكتفى بالاسم عن المعنى وبالرسم عن الحقيقة وقعد عن الكسب وألقى مؤنته على المسلمين ولم يبال بهم ولم يرع حقوقهم ولم يشتغل بعلم ولا عبادة كما وصفه في موضع آخر...**

وقال : لا يكون الصوفي صوفيا حتى يكون فيه أربع خصال : كسول أكول نئوم كثير الفضول

قال البيهقي : **وإنما أراد به ذم من يكون منهم بهذه الصفة** [لا من] صفا منهم في الصوفية بصدق التوكل على الله عز وجل واستعمال آداب الشريعة في معاملته مع الله عز وجل في العبادة ومعاملته مع الناس في العشرة فقد حكي عنه أنه عاشرهم وأخذ عنهم ...

وقال : صحبت الصوفية عشر سنين ... قال البيقهي : **وبلغني أنه رأى من بعض من تسمى باسم الصوفية ما كره فخرج قوله في ذم أمثاله**)اه

الإمام أحمد :

روى أبو الطاهر السلفي في الطيوريات ص ٣٥ : (قال عبد الله بن أحمد : سمعت أبي وقيل له: إن هؤلاء الصوفية جلوس في المساجد على التوكل بغير علم ؟ **قال: العلم أقعدهم**

قيل : فإن همهم كسرة وخرقة ؟ **قال** : **لا أعلم أن قوما أعظم قدرا من قوم يكون همهم من الدنيا كسرة وخرقة**

قيل: فإنهم إذا سمعوا السماع يقومون يرقصون، **فقال أبي: دعوهم يفرحون مع الله ساعة**)اه

وفي الفروع لابن مفلح إمام الحنابلة تلميذ ابن تيمية ٣١٢/٥ وغذاء الألباب للسفاريني الحنبلي ١ /١٢٠: (نقل إبراهيم بن عبد الله القلانسي أن أحمد قال عن الصوفية : **لا أعلم أقواما أفضل منهم** ، قيل : إنهم يستمعون ويتواجدون ، قال : دعوهم يفرحون مع الله ساعة ، قيل : فمنهم من يموت ومنهم من يغشى عليه ، فقال : { وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون }

ولعل مراده سماع القرآن ، **وعذرهم لقوة الوارد** ، **كما عذر يحيى القطان في الغشي**

وقد قال أحمد لإسماعيل بن إسحاق الثقفي وقد سمع عنده كلام الحارث المحاسبي ورأى أصحابه : **ما أعلم أني رأيت مثلهم ، ولا سمعت في علم الحقائق مثل كلام هذا الرجل ، ولا أرى لك صحبتهم**) اه

قال ابن حجر في التهذيب ١١٧/٢ : (**وروى الخطيب بسند صحيح** أن الإمام أحمد سمع كلام المحاسبي فقال لبعض أصحابه : **ما سمعت في الحقائق مثل كلام هذا الرجل ولا أرى لك صحبتهم**

[قال الحافظ] قلت : إنما نهاه عن صحبتهم لعلمه بقصوره عن مقامهم فإنه في مقام ضيق لا يسلكه كل واحد ويخاف على من يسلكه أن لا يوفيه حقه) انتهى كلام الحافظ

والقصة بطولها رواها الخطيب في تاريخه ٢١٤/٨-٢١٥ فقال : (أخبرني محمد بن أحمد بن يعقوب أنبأنا محمد بن نعيم الضبي قال سمعت الإمام أبا بكر أحمد بن إسحاق يعني الصبغي يقول سمعت إسماعيل بن إسحاق السراج يقول : قال لي أحمد بن حنبل يوما: يبلغني أن الحارث هذا يعني المحاسبي يكثر الكون عندك فلو أحضرته منزلك وأجلستني من حيث لا يراني فاسمع كلامه، فقلت: السمع والطاعة لك يا أبا عبد الله وسرني هذا الابتداء من أبي عبد الله فقصدت الحارث وسألته أن يحضرنا تلك الليلة، فقلت: وتسل أصحابك أن يحضروا معك فقال: يا إسماعيل فيهم كثرة فلا تزدهم على الكسب والتمر وأكثر منهما ما استطعت

ففعلت ما أمرني به وانصرفت إلى أبي عبد الله فأخبرته فحضر بعد المغرب وصعد غرفة في الدار فاجتهد في ورده إلى أن فرغ وحضر الحارث وأصحابه فأكلوا ثم قاموا لصلاة العتمة ولم يصلوا بعدها وقعدوا بين يدي الحارث وهم سكوت لا ينطق واحد منهم إلى قريب من نصف الليل فابتدأ واحد منهم وسأل الحارث عن مسألة فأخذ في الكلام وأصحابه يستمعون وكأن على رؤوسهم الطير فمنهم من يبكي ومنهم من يزعق وهو في كلامه

فصعدت الغرفة لأتعرف حال أبي عبد الله فوجدته قد بكى حتى غشي عليه فانصرفت إليهم ولم تزل تلك حالهم حتى أصبحوا فقاموا وتفرقوا فصعدت إلى أبي عبد الله وهو متغير الحال فقلت كيف رأيت هؤلاء يا أبا عبد الله فقال : **ما اعلم اني رأيت مثل هؤلاء القوم ولا سمعت في علم الحقائق مثل كلام هذا الرجل** وعلى ما وصفت من أحوالهم فاني لا أرى لك صحبتهم ثم قام وخرج) اه

وفي الآداب الشرعية لابن مفلح ٢٤٣/٢ : (سئل أحمد بن حنبل عن مسألة في الورع فقال : أنا أستغفر الله لا يحل لي أن أتكلم في الورع ، وأنا آكل من غلة بغداد **لو كان بشر بن الحارث [وهو من أئمة التصوف] صلح أن يجيبك عنه لأنه كان لا يأكل من غلة بغداد ولا من طعام السواد**) **اه**

وفي طبقات الحنابلة لابن أبي يعلى ٢٦٣/١ : (نقل محمد بن أحمد بن المثنى أبو جعفر عن إمامنا أشياء منها : (قلت لأحمد : ما تقول في بشر [الحافي] ؟ فقال : سألتني **عن رابع سبعة من الأبدال أو عامر بن عبد قيس** ما مثله عندي إلا مثل رجل ركز رمحا في الأرض ثم قعد منه على السنان فهل ترى ترك لأحد موضعا يقعد فيه) اه

وفي صفة الصفوة لابن الجوزي ٢/٣٣٢: (قال أحمد بن حنبل: **والله إن بين أظهركم رجلا ما هو عندي بدون عامر بن عبد الله يعني بشر بن الحارث**) اه

وفي طبقات الحنابلة لابن أبي يعلى ١/٣٨٢ : (ذكر أبو سعيد بن الأعرابي أن احمد بن حنبل كان يقول : معروف الكرخي[وهو من أئمة التصوف] من الأبدال وهو مجاب الدعوة

وذكر في مجلس أحمد معروف الكرخي فقال بعض من حضره : هو قصير العلم قال احمد: **أمسك عافاك الله وهل يراد من العلم إلا ما وصل إليه معروف**

وقال المعافى بن زكريا الجريري حدثت عن عبدالله بن احمد بن حنبل أنه قال : قلت لأبي : هل كان مع معروف شيء من العلم ؟ فقال لي : **يا بني كان معه رأس العلم خشية الله تعالى)اه**

وفي تنوير القلوب للكردي ص٤٠٥ : (كان الإمام أحمد يقول لولده قبل أن يصاحب الصوفية: يا ولدي عليك بالحديث ، و إياك و مجالسة هؤلاء الذين سموا أنفسهم صوفية ، فإنهم ربما كان أحدهم جاهلا بأحكام دينه

فلما صحب أبا حمزة البغدادي وعرف أحوال القوم اصبح يقول لولده : **يا ولدي عليك بمجالسة هؤلاء القوم ، فإنهم زادوا علينا بكثرة العلم والمراقبة والخشية والزهد وعلو الهمة) اه**

الإمام الحارث المحاسبي :

في كتاب الوصايا للحارث المحاسبي ص٢٧ وما بعدها: (لم أزل برهة من عمري أنظر اختلاف الأمة، وألتمس المنهاج الواضح والسبيل القاصد، وأطلب من العلم والعمل، وأستدل على طريق الآخرة بإرشاد العلماء، وعقلت كثيراً من كلام الله عز وجل بتأويل الفقهاء، وتدبرت أحوال الأمة، ونظرت في مذاهبها وأقاويلها، فعقلت من ذلك ما قدّر لي، ورأيت اختلافهم بحراً عميقاً، غرق فيه ناس كثير، وسلم منه عصابة قليلة، ورأيت كل صنف منهم، يزعم أن النجاة لمن تبعهم، وأن المهالك لمن خالفهم، ثم رأيت الناس أصنافاً:

فمنهم العالم بأمر الآخرة، لقاؤه عسير، ووجوده عزيز. ومنهم الجاهل، فالبعد عنه غنيمة. ومنهم المتشبه بالعلماء، مشغوف بدنياه، مؤثر لها. ومنهم حامل علم، منسوب إلى الدين، ملتمس بعلمه التعظيم والعلو، ينال بالدين من عرض الدنيا. ومنهم حامل علم، لا يعلم تأويل

ما حمل. ومنهم متشبه بالنُّسَّاك، متحرٍّ للخير، لا غناء عنده، ولا نفاذ لعلمه ولا معتمَد على رأيه. ومنهم منسوب إلى العقل والدهاء، مفقود الورع والتقى. ومنهم متوادُّون، على الهوى وافِقون، وللدنيا يذِلون، ورياستَها يطلبون. ومنهم شياطين الإنس، عن الآخرة يصدون، وعلى الدنيا يتكالبون، وإلى جمعها يُهرعون، وفي الاستكثار منها يرغبون، فهم في الدنيا أحياء، وفي العُرف موتى، بل العُرف عندهم منكر، والاستواء معروف.

فتفقدْت في الأصناف نفسي، وضِقتُ بذلك ذرعاً، فقصدت إلى هدى المهتدين، بطلب السداد والهدى، واسترشدت العلم، وأَعملْت الفكر، وأطلت النظر، فتبيَّن لي من كتاب الله تعالى وسنة نبيه وإجماع الأمة، أن اتباع الهوى يعمي عن الرشد، ويضل عن الحق، ويطيل المكث في العمى.

فبدأتُ بإسقاط الهوى عن قلبي، ووقفت عند اختلاف الأمة مرتاداً لطلب الفرقة الناجية، حذِراً من الأهواء المُرْدية والفرقة الهالكة، متحرزاً من الاقتحام قبل البيان، وألتمس سبيل النجاة لِمُهْجةِ نفسي.

ثم وجدْتُ باجتماع الأمة في كتاب الله المنزل أن سبيل النجاة في التمسك بتقوى الله وأداء فرائضه، والورع في حلاله وحرامه وجميع حدوده ، والإخلاص لله تعالى بطاعته، والتأسِّي برسوله صلى الله عليه وسلم. فطلبت معرفة الفرائض والسنن عند العلماء في الآثار، فرأيت اجتماعاً واختلافاً، ووجدتُ جميعهم مجتمعين على أن علم الفرائض والسنن عند العلماء بالله وأمره ، الفقهاء عن الله العاملين برضوانه الورعين عن محارمه المتأسين برسوله صلى الله عليه وسلم والمؤثرين الآخرة على الدنيا ؛ أُولئك المتمسكون بأمر الله وسنن المرسلين.

فالتمست من بين الأمة هذا الصنف المجتمَعَ عليهم والموصوفين بآثارهم، واقتبست من علمهم، فرأيتهم أقل من القليل، ورأيت علمهم مندرساً كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "بدأ الإسلام غريباً، وسيعود غريباً كما بدأ فطوبى للغرباء"

وهم المتفرِّدون بدينهم ، فعظمتْ مصيبتي لفقد الأولياء الأتقياء، وخشيتُ بغتة الموت أن يفاجئني على اضطرابٍ من عمري لاختلاف الأمة، فانكمشت في طلب عالم لم أجد لي من معرفته بُدّاً، ولم أقصّر في الاحتياط ولا في النصح .

فقيَّضَ لي الرؤوف بعباده قوماً وجدت فيهم دلائل التقوى وأعلام الورع وإيثار الآخرة على الدنيا، ووجدت إرشادهم ووصاياهم موافقة لأفاعيل أئمة الهدى، مجتمعين على نصح الأمة، لا يُرَجُّون أبداً في معصيته، ولا يُقَنِّطون أبداً من رحمته، يرضون أبداً بالصبر على البأساء والضراء والرضا بالقضاء والشكر على النعماء، يُحبِّبون الله تعالى إلى العباد بذكرهمْ أياديه وإحسانه، ويحثُّون العباد على الإنابة إلى الله تعالى، علماء بعظمة الله تعالى، علماء بعظيم قدرته، وعلماء بكتابه وسنته، فقهاء في دينه، علماء بما يحب ويكره، وَرِعين عن البدع والأهواء، تاركين التعمق والإغلاء، مبغضين للجدال والمراء، متورِّعين عن الاغتياب والظلم مخالفين لأهوائهم، محاسبين لأنفسهم، مالكين لجوارحهم، ورعين في مطاعمهم وملابسهم وجميع أحوالهم، مُجانبين للشبهات، تاركين للشهوات، مجتزئين بالبُلْغة من الأقوات، متقللين من المباح، زاهدين في الحلال، مشفِقين من الحساب، وَجِلين من المعاد، مشغولين بينهم، مُزْرِين على أنفسهم من دون غيرهم، لكل امرئ منهم شأن يغنيه، علماء بأمر الآخرة وأقاويل القيامة وجزيل الثواب وأليم العقاب.

ذلك أورثهم الحزن الدائم والهَمَّ المقيم، فشغلوا عن سرور الدنيا ونعيمها. ولقد وصفوا من آداب الدين صفات، وحدُّوا للورع حدوداً ضاق لها صدري، وعلمت أن آداب الدين وصدق الورع بحر لا ينجو من الغرق فيه شبهي، ولا يقوم بحدوده مثلي، فتبين لي فضلهم، واتضح لي نصحهم، وأيقنتُ أنهم العاملون بطريق الآخرة والمتأسون بالمرسلين، والمصابيح لمن استضاء بهم، والهادون لمن استرشد.

فأصبحت راغباً في مذهبهم مقتبساً من فوائدهم قابلاً لآدابهم محباً لطاعتهم، لا أعدل بهم شيئاً، ولا أوثر عليهم أحداً، ففتح الله لي علماً اتضح لي برهانه، وأنار لي فضله، ورجوت النجاة لمن أقرَّ به أو انتحله، وأيقنت بالغوث لمن عمل به، ورأيت الاعوجاج فيمن خالفه، ورأيت الرَّيْن متراكماً على قلب من جهله وجحده، ورأيت الحجة العظمى لمن فهمه، ورأيت انتحاله والعمل بحدوده واجباً عليَّ، فاعتقدته في سريرتي، وانطويت عليه بضميري، وجعلته أساس ديني، وبنيت عليه أعمالي، وتقلَّبْت فيه بأحوالي. وسألت الله عز وجل أن يوزِعَني شكرَ

ما أنعم به عليَّ، وأن يقويني على القيام بحدود ما عرَّفني به، مع معرفتي بتقصيري في ذلك، وأني لا أدرك شكره أبداً) اه وانظر حقائق عن التصوف لعبد القادر عيسى

الإمام ابن أبي عاصم :

في في البداية والنهاية ٨٤/١١ : (أبو بكر بن أبي عاصم صاحب السنة والمصنفات... كان حافظا قد ولي قضاء أصبهان بعد صالح بن أحمد وقد طاف البلاد قبل ذلك في طلب الحديث **وصحب أبا تراب النخشبي وغيره من مشايخ الصوفية وقد اتفق له مرة كرامة هائلة** كان هو واثنان من كبار الصالحين في سفر فنزلوا على رمل أبيض **فجعل أبو بكر هذا يقبله بيده ويقول**: اللهم ارزقنا خبيصا يكون غداء على لون هذا الرمل فلم يكن بأسرع من أن أقبل أعرابي وبيده قصعة فيها خبيص بلون ذلك الرمل وفي بياضه فأكلوا منه) اه

وفي سير النبلاء في ترجمة ابن أبي عاصم ٤٣٠/١٣ : (وقال أبو العباس النسوي : أبو بكر بن أبي عاصم وهو أحمد بن عمرو بن الضحاك بن مخلد الشيباني **من أهل البصرة من صوفية المسجد من أهل السنة والحديث والنسك** والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر صحب النساك منهم أبو تراب وسافر معه) اه

السري السقطي شيخ الجنيد :

حكى الإمام الغزالي في الإحياء ٢٢/١ : (عن الجنيد قال : قال لي السري شيخي يوماً : إذا قمت من عندي فمن تجالس ؟ قلت : المحاسبي ، فقال : نعم ، خذ من علمه وأدبه ، ودع عنك تشقيقه الكلام ورده على المتكلمين . ثم لما وليت سمعته يقول : **جعلك الله صاحب حديث صوفياً ، ولا جعلك صوفياً صاحب حديث) اه**

قال الغزالي : أشار إلى أن من حصل الحديث والعلم ثم تصوف أفلح ، ومن تصوف قبل العلم خاطر بنفسه) اه

ونحو ذلك ما رواه البيهقي في الشعب ٣٠٣/٢ : (أخبرنا أبو محمد عبد الله بن يوسف أنا أبو الطيب المظفر بن سهل الخليلي بمكة قال : ثنا غيلان قال : سمعت سري السقطي يقول : **من تعبد وكتب خشيت عليه ومن كتب ثم تعبد رجوت له** .) اه

الإمام الحاكم صاحب المستدرك :

قال في المستدرك ١٨/٣: (حدثنا أبو بكر محمد بن عبد الله بن عتاب العبدي ببغداد ثنا جعفر بن محمد بن شاكر ثنا محمد بن سابق ثنا مالك بن مغول عن فضيل بن غزوان عن أبي حازم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: **لقد كان أصحاب الصفة سبعين رجلا ما لهم أردية ،** هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه) اه قال الذهبي في التلخيص : على شرط البخاري ومسلم

قال الحاكم بعد روايته هذا الحديث: (تأملت هذه الأخبار الواردة في أهل الصفة فوجدتهم من أكابر الصحابة رضي الله عنهم ورعا وتوكلا على الله عز وجل وملازمة لخدمة الله ورسوله صلى الله عليه وسلم اختاره الله تعالى لهم ما اختاره لنبيه صلى الله عليه وسلم من المسكنة والفقر والتضرع لعبادة الله عز وجل وترك الدنيا لأهلها **وهم الطائفة المنتمية إليهم الصوفية قرنا بعد قرن**

فمن جرى على سنتهم وصبرهم على ترك الدنيا والأنس بالفقر وترك التعرض للسؤال فهم في كل عصر بأهل الصفة مقتدون وعلى خالقهم متوكلون) اه

وفي المستدرك أيضا ١٨/٣ : (أخبرنا أبو عمرو عثمان بن عبد الله الزاهد بن السماك حقا ببغداد ثنا يحيى بن جعفر الزبرقان ثنا إبراهيم بن محمد الشافعي ثنا الوليد بن مسلم وضمرة بن ربيعة عن حماد بن أبي حميد عن مكحول عن عياض بن سليمان وكانت له صحبة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : خيار أمتي -فيما أنبأني الملأ الأعلى- قوم يضحكون جهرا في سعة رحمة ربهم عز وجل ويبكون سرا من خوف شدة عذاب ربهم عز وجل يذكرون ربهم بالغداة والعشي في البيوت الطيبة المساجد ويدعونه بألسنتهم رغبا ورهبا ويسألونه بأيديهم خفضا ورفعا ويقبلون بقلوبهم عودا وبدءا فمئونتهم على الناس خفيفة وعلى أنفسهم ثقيلة يدبون في الأرض حفاة على أقدامهم كدبيب النمل بلا مرح ولا بذخ يمشون بالسكينة ويتقربون بالوسيلة ويقرؤون القرآن ويقربون القربان ويلبسون الخلقان عليهم من الله تعالى شهود حاضرة وعين حافظة يتوسمون العباد ويتفكرون في البلاد أرواحهم في الدنيا وقلوبهم في الآخرة ليس لهم هم إلا إمامهم أعدوا الجهاز لقبورهم والجواز لسبيلهم والاستعداد لمقامهم ثم تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم (ذلك لمن خاف مقامي وخاف وعيد)

قال الحاكم : **فمن وفق لاستعمال هذا الوصف من متصوفة زماننا فطوباه فهو المقفي لهدي من تقدمه والصوفية طائفة من طوائف المسلمين فمنهم أخيار ومنهم أشرار لا كما يتوهمه رعاع الناس وعوامهم ولو علموا محل الطبقة الأولى منهم من الإسلام وقربهم من رسول الله صلى الله عليه وسلم لأمسكوا عن كثير من الوقيعة فيهم ..) اه**

الإمام ابن الجوزي :

قال في تلبيس إبليس ص٢٠٢ : (وعبروا عن صفته [أي التصوف] بعبارات كثيرة وحاصلها: **أن التصوف عندهم رياضة النفس ومجاهدة الطبع برده عن الأخلاق الرذيلة وحمله على الأخلاق الجميلة من الزهد والحلم والصبر والإخلاص والصدق إلى غير ذلك من الخصال الحسنة التي تكسب المدائح في الدنيا والثواب في الأخرى**

وبإسناد عن الطوسي يقول سمعت أبا بكر بن المثاقف يقول سألت الجنيد بن محمد عن **التصوف؟ فقال: الخروج عن كل خلق رديء والدخول في كل خلق سني**

وبإسناد عن عبد الواحد بن بكر قال سمعت محمد بن خفيف يقول : قال رويم : كل الخلق قعدوا على الرسوم وقعدت هذه الطائفة على الحقائق وطالب الخلق كلهم أنفسهم بظواهر الشرع وهم طالبوا أنفسهم بحقيقة الورع ومداومة الصدق.

قال المصنف : **وعلى هذا كان أوائل القوم** فلبس إبليس عليهم في أشياء ثم لبس على من بعدهم من تابعيهم فكلما مضى قرن زاد طعمه في القرن الثاني فزاد تلبيسه عليهم إلى أن تمكن من المتأخرين غاية التمكن ...) اه

وقال ص ٢٠٧ : (**وقد كان أوائل الصوفية يقرون بأن التعويل على الكتاب والسنة** وإنما لبس الشيطان عليهم لقلة علمهم

وبإسناد عن جعفر الخلدي يقول سمعت الجنيد يقول قال أبو سليمان الداراني : **ربما تقع في نفسي النكتة من نكت القوم أياما فلا أقبل منهم إلا بشاهدين عدلين الكتاب والسنة**

وبإسناد عن طيفور البسطامي يقول سمعت موسى بن عيسى يقول قال لي أبي : قال أبو يزيد : **لو نظرتم إلى رجل أعطى من الكرامات حتى يرتفع في ال هواء فلا تغتروا به حتى تنظروا كيف تجدونه عند الأمر والنهي وحفظ الحدود**

وبإسناد عن أبي موسى يقول **سمعت أبا يزيد البسطامي قال : من ترك قراءة القرآن والتقشف ولزوم الجماعة وحضور الجنائز وعيادة المرضى وادعى بهذا الشأن فهو مبتدع**
وبإسناد عن عبد الحميد الحبلى يقول **سمعت سريا يقول : من ادعى باطن علم ينقض ظاهر حكم فهو غالط**
وعن **الجنيد أنه قال : مذهبنا هذا مقيد بالأصول الكتاب والسنة** ، وقال أيضا : علمنا منوط بالكتاب والسنة من لم يحفظ الكتاب ويكتب الحديث ولم يتفقه لا يقتدى به) اه

الإمام العز بن عبد السلام :

في قواعد العز بن عبد السلام ١٧٩/٢ : (والطريق في اصلاح القلوب التي تصلح الاجساد بصلاحها وتفسد بفسادها تطهيرها من كل ما يباعد عن الله وتزيينها بكل ما يقرب اليه ويزلفه لديه من الاحوال والاقوال والأعمال وحسن الامال ولزوم الاقبال عليه والاصغاء اليه والمثول بين يديه في كل وقت من الاوقات وحال من الاحوال على حسب الإمكان من غير أداء إلى السآمة والملال
ومعرفة ذلك هي الملقبة بعلم الحقيقة وليست الحقيقة خارجة عن الشريعة بل الشريعة طافحة باصلاح القلوب بالمعارف والاحوال والعزوم والنيات وغير ذلك مما ذكرناه من اعمال القلوب فمعرفة احكام الظواهر معرفة لجل الشرع ومعرفة احكام البواطن معرفة لدق الشريعة ولا ينكر شيئا منهما إلا كافر أو فاجر، **وقد يتشبه بالقوم من ليس منهم ولا يقاربهم في شيء من الصفات وهم شر من قطاع الطريق**) اه
وفي القواعد أيضا ١٨٩/١ : (وأفعال القلوب كثيرة : ... ومنها أن يقدر إذا عبد ربه كأنه يراه لتقع العبادة على اكمل الاحوال فان عجز عن ذلك فليقدر أن الله ناظرا اليه ومطلع عليه وهذا هو احسان العبادات ومنها تفريغ القلب من الاكوان الحادثات شغلا برب الأرض والسموات **وهذا هو المعبر عنه بالفناء عند أهل الصفوة والصفاء وحقيقته غفلة عن كل شيء للشغل برب كل شيء** ومنها الزهد في كل ما يمكن الاستغناء عنه من متاع الدنيا إلا ما استثناه الشرع بالحث عليه والندب اليه ...) اه

وفي القواعد أيضا ٢/١٨٠ : (**النوع الثامن : الفناء الناشئ عن الاستغراق ببعض هذه الاحوال وحقيقة الفناء غفلة وغيبة وفراغ القلب عن الاكوان إلا عن السبب المفنى**

فمن فقد معرفة من هذه المعارف فقد ما يبتني عليها من الاحوال وما يناسب تلك الاحوال من الأقوال والأعمال ومن دامت معارفه بهذه الصفات دامت له الاحوال الناشئة عنها والمستفادة منها وتتفاوت رتب القوم بتفاوت دوام المعارف والاحوال المبنية عليها

وكذلك تتفاوت رتبهم بشرف الاحوال الناشئة عن المعارف المذكورة فمراتب الخائفين والراجين دون مراتب المحبين لتعلق اسباب الخوف والرجاء بالمخوف من الشرور والمرجو من الخيور وتتعلق المحبة بالاله) اه

وفي القواعد أيضا ٢/١٨٥ : (**ولهم [أي الصوفية] ألفاظ يطلقونها يستعظمها سامعها** :

- **منها التجلي** وهو عبارة عن العلم والعرفان وكذلك المشاهدة ومنها الذوق وهو عبارة عن وجدان لذة الاحوال ووقع التعظيم والاجلال
- **ومنها الحجاب** وهو عبارة عن الجهل والغفلة والنسيان ومنها قولهم قال لي ربي وانما ذلك عبارة عن القول بلسان الحال دون لسان المقال كما قالت العرب امتلأ الحوض وقال قطني كذلك قوله إذا قالت الاشباع للبطن الحق
- **ومنها قولهم القلب بيت الرب** ومعناه القلب بيت معرفة الرب شبهوا حلول المعارف بالقلوب بحلول الاشخاص في البيوت
- **ومنها البيتوتة عند الرب سبحانه** في قوله عليه السلام أني ابيت عند ربي يطعمني ويسقيني تجوز بالمبيت عن التقرب وبالاطعام والسقي عن التقوية بما يقوم مقام الطعام والشراب من السرور والتقريب
- **ومنها القرب** وهو عبارة عن الاسباب الموجبة لتقريب الإله ومنها البعد وهو عبارة عن الاسباب الموجبة للابعاد
- **ومنها المجالسة** وهو عبارة عن لذة يخلقها الرب سبحانه وتعالى مجانسة للذة الأنس بمجالسة الاكابر) اه

وفي طبقات المناوي الكبرى ٢/١١١ –١١٢ : (وكان [العز بن عبد السلام] أولا ينكر على الصوفية ويقول : هل لنا طريق غير الكتاب والسنة ؟

فلما اجتمع بالشاذلي وذاق مذاهبهم وقطع السلسلة الحديد بالكراسة الورق صار يمدحهم بل دخل في عدادهم ... **وقال : من أدل دليل على أن القوم قعدوا على أساس الشريعة وقعد غيرهم على الرسوم ما يقع على أيديهم من الخوارق ولا يقع منها شيء من فقيه إلا إن سلك طريقهم** ([3]) اه

وفي طبقات المناوي ١١٢/٢ : (قال العز بن عبد السلام : يا أهل السلوك إلى منازل الملوك الطريق ضيق المجال لا يسلكها إلا فحول الرجال

فمن لا دليل له فهو ضال، ومن لا مسلك له فهو مع الجهال، ومن لا مربي له فهو من الأنذال، ومن لا تربية له فدعواه محال، ومن لا شيخ له فهو خائب الآمال، ومن لا أدب له سقط من عين الكمال، ومن لا صدق له فضحته شواهد الأحوال، ومن لا همة فعلمه نكال، واعجباه إلى بطال يتطاول إلى منازل الأبطال وهو من الأطفال يجول مجال الرجال) اه

الإمام النووي :

قال في رسالته المقاصد ، في مقاصد التصوف ص٢٠ : (**أصول طريق التصوف خمسة:** تقوى الله في السر والعلانية. واتباع السنة في الأقوال والأفعال. والإعراض عن الخلق في الإقبال والإدبار. والرضى عن الله في القليل والكثير. و الرجوع إلى الله في السراء والضراء) اه

وفي شرحه على صحيح مسلم ٧/١ : (... كان أبو عبد الله هذا الفراوى رضى الله عنه اماما بارعا فى الفقه والاصول وغيرهما كثير الروايات بالاسانيد الصحيحة العاليات رحلت إليه الطلبة من الاقطار وانتشرت الروايات عنه فيما قرب وبعد من الامصار حتى قالوا فيه للفراوى ألف راوى وكان يقال له فقيه الحرم لاشاعته ونشره العلم بمكة زادها الله فضلا وشرفا

ذكره الامام الحافظ أبو القاسم الدمشقى المعروف بابن عساكر رضى الله عنهما فأطنب فى الثناء عليه بما هو أهله ثم روى عن ابى الحسين عبد الغافر أنه ذكره فقال هو فقيه الحرم البارع فى الفقه والاصول الحافظ للقواعد **نشأ بين الصوفية فى حجورهم ووصل إليه بركات**

[3] مرادنا من النقل هو معرفة موقف العز بن عبد السلام من التصوف وأهله وإلا فإنه لا تلازم بين الخوارق والصواب لأن الخوارق قد تظهر على غير المستقيمين فتكون استدراجا

أنفاسهم وسمع التصانيف والاصول من الامام زين الاسلام ودرس عليه الاصول والتفسير ثم اختلف إلى مجلس امام الحرمين) اه

وقال أيضا في شرح صحيح مسلم ٩/١ : (قال الحاكم أبو عبد الله : كان أبو أحمد هذا الجلودى شيخا صالحا زاهدا **من كبار عباد الصوفية صحب أكابر المشايخ من أهل الحقائق** وكان ينسخ الكتب ويأكل من كسب يده سمع أبا بكر بن خزيمة ومن كان قبله وكان ينتحل مذهب سفيان الثورى ويعرفه) اه

الإمام ابن تيمية :

قال ابن تيمية كما في مجموع الفتاوى٢٧/١١ : (وطريق الله لا تتم إلا بعلم وعمل يكون كلاهما موافقا الشريعة

فالسالك طريق الفقر والتصوف والزهد والعبادة إن لم يسلك بعلم يوافق الشريعة وإلا كان ضالا عن الطريق وكان ما يفسده اكثر مما يصلحه

والسالك من الفقه والعلم والنظر والكلام إن لم يتابع الشريعة ويعمل بعلمه وإلا كان فاجرا ضالا عن الطريق) اه

وقال كما في مجموع الفتاوى ١٦/١١: (**ثم التصوف عندهم له حقائق وأحوال معروفة** قد تكلموا في حدوده وسيرته وأخلاقه كقول بعضهم: **الصوفي من صفا من الكدر وامتلأ من الفكر واستوى عنده الذهب والحجر**، التصوف كتمان المعاني وترك الدعاوى وأشباه ذلك **وهم يسيرون بالصوفي إلى معنى الصديق وأفضل الخلق بعد الأنبياء الصديقون** كما قال الله تعالى (أولئك الذين انعم الله عليه من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا)

ولهذا ليس عندهم بعد الأنبياء أفضل من الصوفي لكن هو في الحقيقة نوع من الصديقين فهو الصديق الذي اختص بالزهد والعبادة على الوجه الذي اجتهدوا فيه فكان الصديق من أهل هذه الطريق كما يقال صديقو العلماء وصديقو الأمراء فهو أخص من الصديق المطلق ودون الصديق الكامل الصديقية من الصحابة والتابعين وتابعيهم) اه

وقال في الاستقامة ١/٨١ : (**والثابت الصحيح عن أكابر المشايخ يوافق ما كان عليه السلف** وهذا هو الذي كان يجب أن يذكر فإن في الصحيح الصريح المحفوظ عن أكابر المشايخ مثل الفضيل بن عياض وأبي سليمان الداراني ويوسف بن أسباط وحذيفة المرعشي ومعروف الكرخي إلى الجنيد بن محمد وسهل بن عبد الله التستري وأمثال هؤلاء ما يبين حقيقة مقالات المشايخ .

وقد جمع كلام المشايخ إما بلفظه أو بما فهمه هو غير واحد **فصنف أبو بكر محمد بن إسحاق الكلاباذي كتاب التعرف لمذاهب التصوف** وهو أجود مما ذكره أبو القاسم [القشيري]وأصوب وأقرب إلى مذهب سلف الأمة وأئمتها وأكابر مشايخها وكذلك معمر بن زياد الأصفهاني شيخ الصوفية وأبو عبد الرحمن محمد بن الحسن السلمي **جامع كلام الصوفية هما في ذلك أعلى درجة وأبعد عن البدعة** والهوى من أبي القاسم ...) اه

وفي مجموع الفتاوى١١/٣٩٥ : (**سئل** ابن تيمية: ما الحكمة في أن المشتغلين بالذكر والفكر والرياضة ومجاهدة النفس وما أشبهه **يفتح عليهم من الكشوفات والكرامات** وما سوى ذلك من الأحوال مع قلة علمهم وجهل بعضهم ما لا يفتح على المشتغلين بالعلم ودرسه والبحث عنه

حتى لو بات الإنسان متوجها مشتغلا بالذكر والحضور لابد أن يرى واقعة أو يفتح عليه شيء ولو بات ليلة يكرر على باب من أبواب الفقه لا يجد ذلك

حتى أن كثيرا من المتعبدين يجد للذكر حلاوة ولذة ولا يجد ذلك عند قراءة القرآن مع أنه قد وردت السنة بتفضيل العالم على العابد لا سيما إذا كان العابد محتاجا إلى علم هو مشتغل به عن العبادة ...

فأجاب : الحمد لله رب العالمين لا ريب أن الذي أوتى العلم والإيمان أرفع درجة من الذين أوتوا الإيمان فقط كما دل على ذلك الكتاب والسنة ...

والناس إنما يغلطون في هذه المسائل لأنهم يفهمون مسميات الأسماء الواردة في الكتاب والسنة ولا يعرفون حقائق الأمور الموجودة فرب رجل يحفظ حروف العلم التي أعظمها حفظ حروف القرآن ولا يكون له من الفهم بل ولا من الإيمان ما يتميز به على من أوتى القرآن ولم يؤت حفظ حروف العلم ...

وأما الذي أوتى العلم والإيمان فهو مؤمن عليم فهو أفضل من المؤمن الذي ليس مثله في العلم مثل اشتراكهما في الإيمان فهذا أصل تجب معرفته

وهاهنا أصل آخر وهو أنه ليس كل عمل **أورث كشوفا أو تصرفا في الكون** يكون أفضل من العمل الذي **لا يورث كشفا وتصرفا فان الكشف والتصرف** إن لم يكن مما يستعان به على دين الله وإلا كان من متاع الحياة الدنيا وقد يحصل ذلك للكفار من المشركين وأهل الكتاب وان لم يحصل لأهل الإيمان الذين هم أهل الجنة وأولئك أصحاب النار

ففضائل الأعمال ودرجاتها لا تتلقى من مثل هذا وإنما تتلقى من دلالة الكتاب والسنة ولهذا كان كثير من الأعمال يحصل لصاحبه في الدنيا رئاسة ومال فأكرم الخلق عند الله أتقاهم ومن عبد الله بغير علم فقد أفسد أكثر مما يصلح وان حصل له كشف وتصرف وان اقتدى به خلق كثير من العامة ...

وأيضا فأكثر السالكين إذا قرأوا القرآن لا يفهمونه وهم بعد لم يذوقوا حلاوة الإيمان الذي يزيدهم بها القرآن إيمانا **فإذا اقبلوا على الذكر أعطاهم الذكر من الإيمان ما يجدون حلاوته ولذته فيكون الذكر انفع لهم حينئذ من قراءة لا يفهمونها ولا معهم من الإيمان ما يزداد بقراءة القرآن** أما إذا أوتى الرجل الإيمان فالقرآن يزيده من الإيمان ما لا يحصل بمجرد الذكر)اه

وذكر ابن عبد الهادي في العقود الدرية من مناقب شيخ الإسلام أحمد بن تيمية ص ٥٠٠ أن الإمام ابن تيمية كان متصوفا فقال :

(وله مقام في الوصول لربه   ومقامه نطقت بها الأقتام

وله فتوح من غيوب إلهه   وتحزن وتمسكن وكلام

وتصوف وتقشف وتعفف   وقراءة وعبادة وصيام

وعناية وحماية ووقاية   وصيانة وأمانة ومقام

وله كرامات سمت وتعددت   ولها على مر الدهور دوام) اه

الإمام ابن القيم :

قال في مدارج السالكين ٣٦٤/٢ : (هذا العلم (أي علم التصوف) مبني على الإرادة فهي أساسه، ومجمع بنائه وهو مشتمل على تفاصيل أحكام الإرادة وهي حركة القلب **ولهذا سمي**

علم الباطن كما أن علم الفقه يشتمل على تفاصيل أحكام الجوارح ولهذا سموه علم الظاهر

فهاتان حركتان اختياريتان وللعبد حركة طبيعية اضطرارية فالعلم المشتمل على تفاصيلها، وأحكامها : هو علم الطب .

فهذه العلوم الثلاثة : هي الكفيلة بمعرفة حركات النفس والقلب . وحركات اللسان والجوارح ، وحركات الطبيعة

فالطبيب : ينظر في تلك الحركات من جهة تأثر البدن عنها صحة واعتلالا ، وفي لوازم ذلك ومتعلقاته .

والفقيه : ينظر في تلك الحركات من جهة موافقتها لأمر الشرع ، ونهيه وإذنه ، وكراهته ، ومتعلقات ذلك .

والصوفي: ينظر في تلك الحركات من جهة كونها موصلة له إلى مراده . أو قاطعة عنه ، ومفسدة لقلبه ، أو مصححة له) اه

وقال في مدارج السالكين ٣٠٧/٢ : (الدين كله خلق ، فمن زاد عليك في الخلق زاد عليك في الدين، **وكذلك التصوف قال الكتاني : التصوف : هو الخلق فمن زاد عليك في الخلق فقد زاد عليك في التصوف**) اه

وقال في مدارج السالكين ١٣٦/١ : (**فكلام أئمة الطريق هو على هذا المنهاج** ، فمن تأمله - كسهل بن عبد الله التستري ، وأبي طالب المكي ، والجنيد بن محمد ، وأبي عثمان النيسابوري ، ويحيى بن معاذ الرازي - وأرفع من هؤلاء طبقة ، مثل أبي سليمان الداراني ، وعون بن عبد الله - الذي يقال له حكيم الأمة - وأضرابهما .

فإنهم تكلموا على أعمال القلوب ، وعلى الأحوال كلاما مفصلا جامعا مبينا مطلقا من غير ترتيب ، ولا حصر للمقامات بعدد معلوم . فإنهم كانوا أجل من هذا . وهمهم أعلى وأشرف ، **إنما هم حائمون على اقتباس الحكمة والمعرفة ، وطهارة القلوب ، وزكاة النفوس ، وتصحيح المعاملة** . ولهذا كلامهم قليل فيه البركة . وكلام المتأخرين كثير طويل قليل البركة .

ولكن لابد من مخاطبة أهل الزمان باصطلاحهم . إذ لا قوة لهم للتشمير إلى تلقي السلوك عن السلف الأول وكلماتهم وهديهم) اه

وفي المدارج أيضا ٣٠٤/٢ : (فهذه الثلاثة أشياء [العلم والجود والصبر] : **بها يدرك التصوف، والتصوف: زاوية من زوايا السلوك الحقيقي، وتزكية النفس وتهذيبها. لتستعد لسيرها إلى صحبة الرفيق الأعلى، ومعية من تحبه. فإن المرء مع من أحب.** كما قال سمنون : ذهب المحبون بشرف الدنيا والآخرة . فإن المرء مع من أحب) اه

الأئمة ابن عساكر والخطيب البغدادي الذهبي وابن كثير

وابن رجب وابن حجر وابن الأثير وابن العماد وغيرهم

إذا نظرنا في كتب هؤلاء الأئمة التي ترجموا فيها للأعلام نجدهم يثنون على كثير من الأعلام بأنهم من الصوفية حيث كان هذا الوصف عندهم وصف ثناء ومدح

انظر مثلا تاريخ دمشق لابن عساكر وتاريخ بغداد للخطيب البغدادي وسير النبلاء وتذكرة الحفاظ للذهبي والبداية والنهاية لابن كثير وكذا ابن رجب في ذيله على طبقات الحنابلة وكذا ابن حجر في الدرر الكامنة وابن الأثير في الكامل وابن العماد في شذرات الذهب وغيرهم كثير ممن ألف في التاريخ والتراجم يفعلون ذلك ولو تتبعنا ذلك لطال بنا المقام لكن تأمل معي ما في الفقيه والمتفقه للخطيب ٧٣/٢ حيث قال : (أنشدني أبو عبد الله : محمد بن علي الصوري ، قال : أنشدني أبو يعلى : محمد بن الحسين البصري لنفسه :

أهل التصوف أهلي وهم جمالي ونبلي

ولست أعني بهذا إلا لمن كان قبلي) اه

الإمام الشاطبي :

حيث عقد فصلا في كتابه الاعتصام في مدح التصوف وأهله فقال رحمه الله في الاعتصام ٨٩/١: (فصل الوجه الرابع من النقل : **ما جاء في ذم البدع وأهلها عن الصوفية المشهورين عند الناس :**

وإنما خصصنا هذا الموضع بالذكر وإن كان فيما تقدم من النقل كفاية ، **لأن كثيراً من الجهال!! يعتقدون فيهم أنهم متساهلون في الاتباع** ، وأن اختراع العبادات والتزام ما لم

يأت في الشرع التزامه مما يقولون به ويعملون عليه ، وحاشاهم من ذلك أن يعتقدوه أو يقولوا به

فأول شيء بنوا عليه طريقتهم اتباع السنة واجتناب ما خالفها حتى زعم مذكرهم ، وحافظ مأخذهم ، وعمود نحلتهم ،أبو القاسم القشيري أنهم إنما اختصوا باسم التصوف انفراداً به عن أهل البدع

فذكر أن المسلمين بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يتسم أفاضلهم في عصرهم باسم علم سوى الصحبة إذ لا فضيلة فوقها ، ثم سمي من يليهم التابعين ، ورأوا هذا الاسم أشرف الأسماء، ثم قيل لمن بعدهم أتباع التابعين. ثم اختلف الناس وتباينت المراتب، فقيل لخواص الناس ممن له شدة عناية من الدين الزهاد والعباد .

قال : ثم ظهرت البدع وادعى كل فريق أن فيهم زهاداً وعباداً **فانفرد خواص أهل السنة المراعون أنفسهم مع الله الحافظون قلوبهم عن الغفلة باسم التصوف**. هذا معنى كلامه، **فقد عد هذا اللقب مخصوصاً باتباع السنة ومباينة البدعة**. وفي ذلك ما يدل على خلاف ما يعتقده الجهال ومن لا عبرة به من المدعين للعلم .

وفي غرضي إن فسح الله في المدة وأعانني بفضله ويسر لي الأسباب أن ألخص في طريقة القوم نموذجاً يستدل به على صحتها وجريانها على الطريقة المثلى ، وأنه إنما داخلتها المفاسد وتطرقت إليها البدع من جهة قوم تأخرت أزمانهم عن عهد ذلك السلف الصالح ، وادعوا الدخول فيها من غير سلوك شرعي ولا فهم لمقاصد أهلها وتقولوا عليهم ما لم يقولوا به ...

- فقد قال الفضيل بن عياض : من جلس مع صاحب بدعة لم يعط الحكمة ...
- وقال ذو النون المصري : من علامة حب الله متابعة حبيب الله صلى الله عليه وسلم في أخلاقه وأفعاله وأمره وسنته ...
- وقال بشر الحافي : رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في المنام فقال لي : يا بشر ! تدري لم رفعك الله بين أقرانك ؟قلت : لا يا رسول الله ، قال : لاتباعك سنتي ، وحرمتك للصالحين ، ونصيحتك لإخوانك ، ومحبتك لأصحابي وأهل بيتي هو الذي بلغك منازل الأبرار.

- وقال يحيى بن معاذ الرازي : اختلاف الناس كلهم يرجع إلى ثلاثة أصول ، فلكل واحد منها ضد ، فمن سقط عنه وقع في ضده : التوحيد وضده الشرك ، والسنة وضدها البدعة ، والطاعة وضدها المعصية .
- وقال أبو بكر الدقاق وكان من أقران الجنيد : كنت ماراً في تيه بني إسرائيل فخطر ببالي أن علم الحقيقة مباين لعلم الشريعة ، فهتف بي هاتف : كل حقيقة لا تتبعها الشريعة فهي كفر .
- وقال أبو علي الحسن بن علي الجوزجاني : من علامات السعادة على العبد تيسير الطاعة عليه ، وموافقة السنة في أفعاله ، وصحبته لأهل الصلاح ، وحسن أخلاقه مع الإخوان ، وبذل معروفه للخلق واهتمامه للمسلمين ، ومراعاته لأوقاته .
- وسئل كيف الطريق إلى الله ؟ فقال : الطرق إلى الله كثيرة ، وأوضح الطرق وأبعدها عن الشبه اتباع قولاً وفعلاً وعزماً وعقداً ونيةً ، لأن الله يقول : وإن تطيعوه تهتدوا فقيل له : كيف الطريق إلى السنة ؟ فقال : مجانية البدع ، واتباع ما أجمع عليه الصدر الأول من علماء الإسلام ، والتباعد عن مجالس الكلام وأهله ، ولزوم طريقة الاقتداء وبذلك أمر النبي صلى الله عليه وسلم بقوله تعالى : ثم أوحينا إليك أن اتبع ملة إبراهيم .
- وقال أبو بكر الترمذي : لم يجد أحد تمام الهمة بأوصافها إلا أهل المحبة ، وإنما أخذوا ذلك باتباع السنة ومجانية البدعة ، فإن محمد صلى الله عليه وسلم كان أعلى الخلق كلهم همة وأقربهم زلفى .
- وقال أبو الحسن الوراق : لا يصل العبد إلى الله إلا بالله وبموافقة حبيبه صلى الله عليه وسلم في شرائعه . ومن جعل الطريق إلى الوصول في غير الاقتداء يضل من حيث أنه مهتد وقال : الصدق استقامة الطريق في الدين واتباع السنة في الشرع . وقال : علامة محبة الله متابعة حبيبه صلى الله عليه وسلم .
- ومثله عن إبراهيم القمار قال : علامة محبة الله إيثار طاعته ومتابعة نبيه .
- وقال أبو محمد بن عبد الوهاب الثقفي : لا يقبل الله من الأعمال إلا ما كان صواباً ، ومن صوابها إلا ما كان خالصاً ، ومن خالصها إلا ما وافق السنة .

- وإبراهيم بن شيبان القرميسيني صحب أبا عبد الله المغربي وإبراهيم الخواص ، وكان شديداً على أهل البدع متمسكاً بالكتاب والسنة ، لازماً لطريق المشايخ والأئمة ، حتى قال فيه عبد الله بن منازل : إبراهيم بن شيبان حجة الله على الفقراء وأهل الآداب والمعاملات .
- وقال أبو بكر بن سعدان وهو من أصحاب الجنيد وغيره : الاعتصام بالله هو الامتناع من الغفلة والمعاصي والبدع والضلالات .
- وقال أبو عمر الزجاجي وهو من أصحاب الجنيد و الثوري وغيرهما : كان الناس في الجاهلية يتبعون ما تستحسنه عقولهم وطبائعهم ، فجاء النبي صلى الله عليه وسلم فردهم إلى الشريعة والاتباع ، فالعقل الصحيح الذي يستحسن ما يستحسنه الشرع ويستقبح ما يستقبحه .
- وقيل لإسماعيل بن محمد السلمي جد أبي عبد الرحمن السلمي ، ولقي الجنيد وغيره : ما الذي لا بد للعبد منه ؟ فقال : ملازمة العبودية على السنة ودوام المراقبة .
- وقال أبو عثمان المغربي التونسي : هي الوقوف مع الحدود لا يقصر فيها ولا يتعداها قال الله تعالى : ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه .
- وقال أبو يزيد البسطامي : عملت في المجاهدة ثلاثين سنة فما وجدت شيئاً أشد من العلم ومتابعته ، ولولا اختلاف العلماء لشقيت . واختلاف العلماء رحمة إلا في تجريد التوحيد ، ومتابعة العلم هي متابعة السنة لا غيرها
- وروي عنه أنه قال : قم بنا ننظر إلى هذا الرجل الذي قد شهر نفسه بالولاية .كان رجلاً مقصوداً مشهوراً بالزهد .قال الرواي : فمضينا ، فلما خرج من نبيه ودخل المسجد رمى ببصاقة تجاه القبلة ، فانصرف أبو يزيد ولم يسلم عليه ، وقال : هذا غير مأمون على أدب من آداب رسول الله صلى الله عليه وسلم فكيف يكون مأموناً على ما يدعيه ؟ .
- وهذا أصل أصله أبو يزيد رحمه الله للقوم : وهو أن الولاية لا تحصل لتارك السنة وإن كان ذلك جهلاً منه ، فما ظنك به إذا كان عاملاً بالبدعة كفاحاً ؟ .
- وقال : هممت أن أسأل الله أن يكفيني مؤنة الأكل ومؤنة النساء ثم قلت : كيف يجوز أن أسأل الله هذا ؟ ولم يسأله رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم أسأله ؟ ثم إن الله سبحانه كفاني مؤنة النساء حتى لا أبالي استقبلتني امرأة أم حائط .

- وقال : لو نظرتم إلى رجل أعطي من الكرامات حتى يرتقي في الهواء فلا تغتروا به حتى تنظروا كيف تجدونه عند الأمر والنهي ، وحفظ الحدود وآداب الشريعة .
- وقال سهل التستري : كل فعل يفعله العبد بالاقتداء : طاعةً كان أو معصية ، فهو عيش النفس . يعني باتباع الهوى . وكل فعل يفعله العبد بالاقتداء فهو عتاب على النفس . يعني لأنه لا هوى له فيه . واتباع الهوى هو المذموم ، ومقصود القوم تركه البتة .
- وقال : أصولنا سبعة أشياء ، التمسك بكتاب الله ، والاقتداء بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأكل الحلال ، وكف الأذى ، واجتناب الآثام ، والتوبة ، وأداء الحقوق . وقال : قد أيس الخلق من هذه الخصال الثلاث : ملازمة التوبة ، ومتابعة السنة ، وترك أذى الخلق . وسئل عن الفتوة فقال : اتباع السنة .
- وقال أبو سليمان الداراني : ربما تقع في قلبي النكتة من نكتة القوم أياماً فلا أقبل منه إلا بشاهدين عدلين . الكتاب والسنة .
- وقال أحمد بن أبي الحواري : من عمل عملاً بلا اتباع سنة فباطل عمله .
- وقال أبو حفص الحداد : من لم يزن أفعاله وأحواله في كل وقت بالكتاب والسنة ولم يتهم خواطره فلا تعده في ديوان الرجال . وسئل عن البدعة فقال : التعدي في الأحكام ، والتهاون في السنن ، واتباع الآراء والأهواء ، وترك الاتباع والاقتداء قال : وما ظهرت حالة عالية إلا من ملازمة أمر صحيح .
- وسئل حمدون القصار : متى يجوز للرجل أن يتكلم على الناس ؟ فقال : إذا تعين عليه أداء فرض من فرائض الله في عمله ، أو خاف هلاك إنسان في بدعة يرجو أن ينجيه الله منها .
- وقال : من نظر في سير السلف عرف تقصيره ، وتخلفه عن درجات الرجال . وهذه . والله أعلم . إشارة إلى المثابرة على الاقتداء بهم فإنهم أهل السنة .
- وقال أبو القاسم الجنيد لرجل ذكر المعرفة وقال : أهل المعرفة بالله يصلون إلى ترك الحركات من باب البر والتقرب إلى الله فقال الجنيد : إن هذا قول قوم تكلموا بإسقاط الأعمال عن الله تعالى وإليه يرجعون فيها . قال : ولو بقيت ألف عام لم أنقص من أعمال البر ذرة ، إلا أن يحال بي دونها .
- وقال : الطرق كلها مسدودة على الخلق إلا على من اقتفى أثر الرسول صلى الله عليه وسلم

- وقال : مذهبنا هذا مقيد بالكتاب والسنة .
- وقال : من لم يحفظ القرآن ويكتب الحديث لا يقتدى به في هذا الأمر لأن علمنا هذا مقيد بالكتاب والسنة . وقال : هذا مشيد بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم .
- وقال أبو عثمان الجبري : الصحبة مع الله تعالى بحسن الأدب ودوام الهيبة والمراقبة ، والصحبة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم باتباع سنته ، ولزوم ظاهر العلم ، والصحبة مع أولياء الله بالاحترام والخدمة . إلى آخر ما قال .
- ولما تغير عليه الحال مزق ابنه أبو بكر قميصاً على نفسه ، ففتح أبو عثمان عينيه وقال، خلاف السنة يا بني في الظاهر ، علامة رياء في الباطن .
- وقال : من أمر السنة على نفسه قولاً وفعلاً نطق بالحكمة ، ومن أمر الهوى على نفسه قولاً وفعلاً نطق بالبدعة ، قال الله تعالى : وإن تطيعوه تهتدوا .
- قال أبو الحسين النوري : من رأيته يدعي مع الله حالة تخرجه عن حد العلم الشرعي فلا تقربن منه .
- وقال محمد بن الفضل البلخي : ذهاب الإسلام من أربعة : لا يعملون بما يعلمون ، ويعملون بما لا يعلمون ، ولا يتعلمون ، ويمنعون الناس من التعلم . هذا ما قال ، وهو وصف صوفيتنا اليوم ، عياذاً بالله .
- وقال : أعرفهم بالله أشدهم مجاهدةً في أوامره ، وأتبعهم لسنة نبيه .
- وقال شاة الكرماني : من غض بصره عن المحارم ، وأمسك نفسه عن الشبهات ، وعمر باطنه بدوام المراقبة ، وظاهره باتباع السنة ، وعود نفسه أكل الحلال ، لم تخطيء له فراسه
- وقال أبو سعيد الحراز : كل باطن يخالفه ظاهر فهو باطل .
- وقال أبو العباس بن عطاء وهو من أقران الجنيد : من ألزم نفسه آداب الله نور الله قلبه بنور المعرفة ، ولا مقام أشرف من مقام متابعة الحبيب صلى الله عليه وسلم في أوامره وأفعاله وأخلاقه.
- وقال أيضاً : أعظم الغفلة غفلة العبد عن ربه عز وجل وغفلته عن أوامره ، وغفلته عن آداب معاملته .

- وقال إبراهيم الخواص : ليس العالم بكثرة الرواية ، وإنما العالم من اتبع العلم واستعمله واقتدى بالسنن وإن كان قليل العلم .
- وسئل عن العافية فقال : العافية أربعة أشياء ، دين بلا بدعة ، وعمل بلا آفة ، وقلب بلا شغل ، ونفس بلا شهوة .
- وقال : الصبر ، الثبات على أحكام الكتاب والسنة .
- وقال بنان الحمال . وسئل عن أصل أحوال الصوفية فقال ، : الثقة بالمضمون والقيام بالأوامر ، ومراعاة السر ، والتخلي من الكونين .
- وقال أبو حمزة البغدادي : من علم طريق الحق سهل عليه سلوكه ، ولا دليل على الطريق إلى الله إلا متابعة سنة الرسول صلى الله عليه وسلم في أحواله وأفعاله وأقواله .
- وقال أبو إسحاق الرقاشي : علامة محبة الله إيثار طاعته ومتابعة نبيه اهـ . ودليله قوله تعالى : قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله .
- وقال ممشاذ الدينوري : آداب المريد في التزام حرمات المشايخ ، وحرمة الإخوان ، والخروج عن الأسباب ، وحفظ آداب الشرع على نفسه .
- وسئل أبو علي الروزباري عمن يسمع الملاهي ويقول : هي لي حلال ، لأني قد وصلت إلى درجة لا يؤثر في اختلاف الأحوال . فقال : نعم قد وصل ولكن إلى سقر .
- وقال أبو محمد عبد الله بن منازل : لم يضيع أحد فريضة من الفرائض إلا ابتلاه الله بتضييع السنن ، ولم يبتل بتضييع السنن أحد إلا يوشك أن يبتلي بالبدع .
- وقال أبو يعقوب النهرجوري : أفضل الأحوال ما قارن العلم .
- وقال أبو عمرو بن نجيد : كل حال لا يكون عن نتيجة علم فإن ضرره على صاحبه أكثر من نفعه .
- وقال بندار بن الحسين : صحبة أهل البدع تورث الإعراض عن الحق .
- وقال أبو بكر الطمستاني : الطريق واضح ، والكتاب والسنة قائم بين أظهرنا ، وفضل الصحابة معلوم لسبقهم إلى الهجرة ولصحبتهم ، فمن صحب منا الكتاب والسنة ، وتغرب عن نفسه والخلق ، وهاجر بقلبه إلى الله ، فهو الصادق المصيب .

- وقال أبو القاسم النصراباذي : أصل التصوف ملازمة الكتاب والسنة . وترك البدع والأهواء ، وتعظيم حرمات المشايخ ، ورؤية أعذار الخلق . والمداومة على الأوراد ، وترك ارتكاب الرخص والتأويلات .

وكلامهم في هذا الباب يطول . وقد نقلنا عن جملة ممن اشتهر منهم ينيف على الأربعين شيخاً، جميعهم يشير أو يصرح بأن الابتداع ضلال . والسلوك عليه تيه ، واستعماله رمي في عماية ، وأنه مناف لطلب النجاة ، وصاحبه غير محفوظ ، وموكول إلى نفسه ، ومطرود عن نيل الحكمة.

وأن الصوفية الذين نسبت إليهم الطريقة مجموعون على تعظيم الشريعة ، مقيمون على متابعة السنة ، غير مخلين بشيء من آدابها ، أبعد الناس عن البدع وأهلها . ولذلك لا نجد منهم من ينسب إلى فرق من الفرق الضالة ، ولا من يميل إلى خلاف السنة .

وأكثر من ذكر منهم علماء وفقهاء ومحدثون وممن يؤخذ عنه الدين أصولاً وفروعاً، ومن لم يكن كذلك ، فلا بد من أن يكون فقهياً في دينه بمقدار كفايته .

وهم كانوا أهل الحقائق والمواجد والأذواق والأحوال والأسرار التوحيدية . فهم الحجة لنا على كل من ينتسب إلى طريقهم ولا يجري على منهاجهم ، بل يأتي ببدع محدثات ، وأهواء متبعات ، وينسبها إليهم ، تأويلاً عليهم . من قول محتمل ، أو فعل من قضايا الأحوال ، أو استمساكاً بمصلحة شهد الشرع بإلغائها ، أو ما أشبه ذلك .

فكثيراً ما ترى المتأخرين ممن يتشبه بهم ، يرتكب من الأعمال ما أجمع الناس على فساده شرعاً، ويحتج بحكايات هي قضايا أحوال ، إن صحت لم يكن فيها حجة ، لوجوه عدة، ويترك من كلامهم وأحوالهم ما هو واضح في الحق الصريح ، والاتباع الصحيح ، شأن من اتبع من الأدلة الشرعية ما تشابه بها

ولما كان أهل التصرف في طريقهم بالنسبة إلى إجماعهم على أمر كسائر أهل العلوم في علومهم، أتيت من كلامهم بما يقوم منه دليل على مدعي السنة وذم البدعة في طريقتهم حتى يكون دليلاً لنا من جهتهم، على أهل البدع عموماً، وعلى المدعين في طريقهم خصوصاً، وبالله التوفيق) اه كلام الإمام الشاطبي

الإمام محمد بن إبراهيم ابن الوزير اليماني :

قال في كتابه ترجيح الأساليب ص ٤٥ عن الإمام السهرودي : (**وللشيخ العارف القدوة كلام جيد في هذا المعنى ... وكلام هذه الطائفة في مثل هذا الكلام ذوق لا سبيل إلى كشف صحته إلى بالتجربة وهو نظير كلام الأطباء في الطب**) اه

وفي العواصم ٣٩٦/١ ذكر الأعمال التي ترد بها الشهادة عن الفقهاء بسبب خرم المروءة كالأكل في السوق وأن ذلك يختلف باختلاف العرف ثم قال :

(**وقد غلط من جرح الصوفية بما يرتاضون عليه من هذه المباحات معتبرا بعموم تمثيل الفقهاء** والوجه في الغلط في ذلك أنه ليس بجرح في نفسه بالاتفاق لأنه مباح لا إثم فيه وإنما عد جرحا لمن هو في حقه دلالة على الاستهانة بالدين وعدم المبالاة وقلة الحياء فحين صدر على وجه يعرف معه أنه لا يدل على ذلك بل ربما عرف معه أن صاحبه على العكس من ذلك فأين دلالته على الجرح ؟ !) اه

وقال في إثار الحق ص ٣٨ : (**وأما الاتحادية المدعون للتصوف وليس هم منه في شيء...**) **اه**

وللإمام ابن الوزير رسالة اسمها (التحفة الصفية شرح الأبيات الصوفية) مخطوطة في مكتبة الجامع الكبير رقم ١٩ مجاميع ولها اسم آخر هو (**النسمات النجدية في النعمات الوجدية** ...) انظر كتاب (ابن الوزير وآراءه) للحربي ٩٢/١

الشيخ محمد بن عبد الوهاب وأبناؤه :

في القسم الثالث من مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب جزء فتاوى ورسائل ص ٣١ المسألة الخامسة : (اعلم – أرشدك الله – أن الله سبحانه وتعالي بعث محمدا بالهدي الذي هو العلم النافع، ودين الحق الذي هو العمل الصالح، فإذا كان من ينتسب إلى الدين : منهم من يتعانى بالعلم والفقه ويقول به كالفقهاء ، **ومنهم من يتعانى العبادة وطلب الآخرة كالصوفية ، فبعث الله نبيه بهذا الدين الجامع للنوعين**) **اه** وانظر موقف أئمة السلفية من التصوف ص ١٥

وقال كما في ملحق المصنفات ص ١٢٤ : (**ولهذا كان مشايخ الصوفية العارفون يوصون كثيرا بمتابعة العلم،** قال بعضهم: ما ترك أحد شيئا من السنة إلا لكبر في نفسه) اه وانظر موقف أئمة السلفية من التصوف ص ١٨

وفي كتاب دعايات مكثفة ضد الشيخ بن عبد الوهاب لمحمد منظور النعماني ص ٧٦ :(قال الشيخ عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب: (**ولا ننكر الطريقة الصوفية وتنزيه الباطن من رذائل المعاصي المتعلقة بالقلب والجوارح مهما استقام صاحبها علي القانون الشرعي)اه**

وانظر موقف أئمة السلفية من التصوف ص ١٩

وفي فتاوى ابن إبراهيم المجلد الأول القسم الخامس : (١٩٢- التصوف والمتصوفة) : (**المتصوفة على قسمين: متصوفة سنيين، ومتصوفة بدعيين، ومقتصدوهم ليس فيهم إلا القليل من البدعة،** وبعضهم عنده الشيء الكثير، وجعلوا التصوف نافذة إلى وحدة الوجود.)اه

الإمام الشوكاني :

القارئ في البدر الطالع يجد الإمام الشوكاني يثني على كثير ممن ترجم لهم بأنهم كانوا من الصوفية، بل إن للشوكاني رسالة مفردة في التصوف وهي ضمن الفتح الرباني. وإليك نصها من الفتح الرباني في فتاوى ورسائل الشوكاني ٢/١٠٤٣ -١٠٥٥ : (**بسم الله الرحمن الرحيم**

نص السؤال : سأل صاحبها حسن بن قاسم المجاهد وفقه الله : سيدي مولاي العلامة النحرير شيخ الإسلام وبدره محمد بن علي الشوكاني حفظه الله وأمتع المسلمين بحياته آمين آمين

مضمونه : ما زال يخطر بذهن محبكم من شأن التصوف شيئا هل عليه دليل أو من قال وقيل؟ وهل العلم علمان باطن وظاهر ؟ والباطن يسمونه الطريقة والوصول إلى معرفته على تلك المراتب الذي رتبوها إلى حد الوصول وكلام أهل المذهب المعروف وبعض علماء الشافعية يقول: ما للشرع عليه اعتراض فهو مختون وقد أوسع المقبلي بالعلم الشامخ في هذا البحث وللعلامة الزمخشري مادة عند قوله تعالى (قل إن كنتم تحبون الله) إلخ وإذا ظهر ما يخالف كما يقولون لهم المعنى إلخ وأن كلما صدر منهم عبادة فإما كرامات الإحياء الخارقة وإما الإخبار بما سيكون من طرق التحدث كما ثبت وكما كان عمر رضي الله عنه

فمن حسناتكم وتفضلاتكم الإفادة كثر الله فوائكم وأمتع الله المسلمين بحياتكم آمين آمين

نص الجواب : اعلم وفقني الله وإياك أن معنى التصوف المحمود هو الزهد في الدنيا حتى يستوي عنده ذهبها وترابها ثم الزهد فيما يصدر عن الناس من المدح والذم حتى يستوي عنده مدحهم وذمهم ثم الاشتغال بذكر الله سبحانه وبالعبادة المقربة لله **فمن كان هكذا فهو صوفي حقا وعند ذلك يكون من أطباء القلوب فيداويها بما يمحو عنها الطواغيت الباطنية** من الكبر والحسد والعجب والرياء وأمثال هذه الغرائز الشيطانية التي هي أخطر المعاصي وأقبح الذنوب **ثم يفتح الله له أبوابا كان عنها محجوبا كغيره لكنه لما أماط عن ظاهره وباطنه الذنوب – الذي يصير بها قلبه وحواسه في ظلمة** بل يصير بها جميع ظاهره وباطنه في غشاوة – صار جسدا صافيا عن شوب الكدر مطهرا من دنس الذنوب **فيبصر ويسمع ويفهم بحواس لا يحجبها عن حقائق الحق حاجب ولا يحول بينها وبين درك الصواب حائل** ويدل على ذلك أهم دلالة وأعظم برهان ما ثبت في البخاري وغيره من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : يقول الله تعالى : من عادى لي وليا فقد بارزني بالمحاربة وفي رواية فقد آذنته بالحرب ...)

ومعلوم أن من كان يبصر بالله سبحانه ويسمع به ويبطش به ويمشي به له حال يخالف حال من لم يكن كذلك لأنها ينكشف له الأمور كما هي **وهذا هو سيد ما تجلى عنهم من المكاشفة لأنه قد ارتفع عنهم حجب الذنوب وذهب عنهم أدران المعاصي**

وغيرهم ممن لا يسمع بالله ولا يبصر به ولا يبطش به ولا يمشي به لا يدرك من ذلك شيئا بل هو محجوب عن الحقائق غير مهتد إلى مستقيم الطرائق كما قال الشاعر :

وكيف ترى ليلى بعين ترى بها   سواها وما ظهرها بالمدامع

ويلتذ منها بالحديث وقد جرى   حديث سواها في خروت المسامع

أجلك يا ليلى عن العين إنما   أراك بقلب خاشع لك خاضع

وأما من صفى عن المكدر وسمع وأبصر فهو كما قال الآخر :

الآن وادي الجزع أضحى ترابه   من المس كافورا وأعواده زبدا

وما ذاك إلا أن هند عشية   تمشت وجرت في جوانبه بردا

ومما يدل على هذا المعنى الذي أفاده حديث أبي هريرة حديث (اتقوا فراسة المؤمن فإنه يرى بنور الله) وهو حديث صححه الترمذي فإنه أفاد أن المؤمنين من عباد الله يبصرون بنور الله سبحانه وهذا معنى ما في الحديث الأول من قوله صلى الله عليه وسلم (فبي يبصر) **فما وقع من هؤلاء القوم الصالحين من المكاشفات هو من هذه الحيثية الواردة في الشريعة المطهرة** وقد ثبت أيضا في الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : (إن في هذا الأمة محدثون وإن منهم عمر) **ففي هذا الحديث الصحيح فتح باب المكاشفة لصالحي عباد الله وأن ذلك من الله سبحانه فيحدثون بالوقائع بنور الإيمان الذي هو من نور الله سبحانه فيعرفونها كما هي حتى كأن محدثا يخبرهم بها ويخبرهم بمضمونها** وقد كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقع له من ذلك الكثير الطيب في وقائع معروفة منقولة في دواوين الإسلام ونزل بتصديق ما تكلم به القرآن الكريم ...

فمن كان من صالحي العباد متصفا بهذه الصفات وتسما بهذه السمات **فهو رجل المعالم وفرد الدهر وزين العصر والاتصال به مما تلين به القلوب وتخشع له الأفئدة وتجذب بالاتصال به العقول الصحيحة إلى مراضي الرب سبحانه وكلماته هي الترياق المجرب** وأشاربه هل طب القلوب القاسية وتعليماته هي كيمياء السعادة وإرشاداته هي الموصلة إلى الخير الأكبر والكرامات الدائمة التي لا نفاد لها ولا انقطاع

ولم تصف البصائر ولا صلحت السرائر بمثل الاتصال بهؤلاء القوم الذين هم خيرة الخيرة وأشرف الذخيرة فيا لله قوم لهم السلطان الأكبر على قلوب هذا العالم يجذبونها إلى طاعات الله سبحانه والإخلاص له والاتكال عليه والقرب منه والبعد عما يشغل عنه ويقطع عن الوصول إليه وقل أن يتصل بهم ويختلط بخيارهم إلا من سبقت له السعادة وجذبته العناية الربانية إليهم لأنهم يخفون أنفسهم ويظهرون في مظاهر الخمول ومن عرفهم لم يدل عليهم إلا من أذن الله له ولسان حاله يقول كما قال الشاعر :

وكم سائل عن سر ليلى رددته بعمياء من ليلى بغير يقين

يقولون خيرنا فأنت أمينها وما أنا إن خيرتهم بأمين

فيا طالب الخير إذا ظفرت يداك بواحد من هؤلاء الذي هم صفوة الصفوة وخيرة الخيرة فاشددهما عليه واجعله مؤثرا على الأهل والمال والقريب والحبيب والوطن والسكن

فإنا إن وزنا هؤلاء بميزان الشرع واعتبرناهم بمعبر الدين وجدناهم أولياء الله الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون وقلنا لمعاديهم أو القادح في علي مقامهم أنت ممن قال فيهم الرب سبحانه كما حكاه عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم (من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب) لأنه لا عيب له إلا أنهم أطاعوا الله كما يجب وآمنوا به كما يحب ورفضوا الدنيا الدنية وأقبلوا على الله عز وجل في سرهم وجهرهم وظاهرهم وباطنهم

وإذا فرضنا أن في المدعين للتصوف من لم يكن بهذه الصفات وعلى هذا الهدى القويم فإن بدا منه ما يخالف هذه الشريعة المطهرة وينافي منهجها الذي هو الكتاب والسنة فليس من هؤلاء والواجب علينا رد بدعته عليه والضرب بها في وجهه كما صح عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : (كل أمر ليس عليه أمرنا فهو رد) وصح عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال (كل بدعة ضلالة) ومن أنكر علينا ذلك قلنا له وزنا هذا بميزان الشرع فوجدناه مخالفا له ورددنا أمره إلى الكتاب والسنة فوجدناه مخالفا لهما وليس الدين إلا كتاب الله سبحانه وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم والخارج عنهما المخالف لهما ضال مضل

ولا يقدح على هؤلاء الأولياء وجود من هو هكذا فإنه ليس معدودا منهم ولا سالكا طريقهم ولا مهتديا بهديهم فاعرف هذا فإن القدح في قوم بمجرد فرد أو أفراد منسوبين إليهم نسبة غير مطابقة للواقع لا يقع إلا ممن لا يعرف الشرع ولا يهتدي بهديه ولا يبصر بنوره

وعلى ذكرنا حديث (اتقوا فراسة المؤمن) نذكر قصة متعلقة به ذكرها من يوثق بنقله من أهل التاريخ وهي أن الجنيد رحمه الله أذن له شيخه أن يتكلم على الناس في جامع البلد الذي هو فيه بعد صلاة الفجر فاعتذر له بأنه غير فصيح العبارة وغير صالح لذلك فقال لا عذر من ذلك وكان هذا دائر بينه وبينه في الليل ولم يكن عندهما أحد ولا خرج واحد منهما فوقع التحدث في ذلك البلد بأن الجنيد قد أذن له شيخه أن يتكلم على الناس بعد صلاة الفجر في الجامع وارتجت المدينة بهذا الخبر فلم يحضر صلاة الفجر إلا وقد صار ذلك الجامع ممتلئا من الناس وهم مزدحمون فيه لأنه وصل إليه من لم يكن معتادا للصلاة فيه تشوفا إلى كلام الجنيد مع أنه لم يكن إذ ذاك في رتبة الشيوخ بل هو من جملة تلامذة شيخه ولكن الأسرار الربانية تعمل عملها والعمل الصالح لا يخفى فلما فرغ أهل الجامع من الصلاة وتهيا الجنيد للكلام وقد

التف عليه الناس حتى كأنهم على موعد لذلك وكأنه قد صاح بهم صائح بما دار بينه وبين شيخه تلك الليلة فقبل أن يتكلم بدره واحد من بين أولئك المستمعين فقال : يا شيخ ما معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم : (اتقوا فراسة المؤمن فإنه يرى بنور الله) فأطرق الجنيد ثم رفع رأسه وقال : أسلم فقد آن لك أن تسلم فقعد بين يديه وتكلم بالشهادتين وذكر للجنيد ولذلك الجمع أنه كان من النصارى الساكنين بذلك البلد وأنه لما سمع الناس يتحدثون تلك الليلة بأن الجنيد سيتكلم في الجامع بعد صلاة الفجر بقي مفكرا وأدرك في قلبه ميلا إلى الإسلام وعزم على حضور ذلك الجمع مريدا لاختبار الجنيد بهذا الحديث مع كونه قد لبس لباس الإسلام وقال في نفسه إن كاشفني أسلمت فكاشفه بما تقدم وصار ذلك الرجل من خيار المسلمين

فانظر هذا الكشف من مثل هذا الولي واعرف به ما عند أفاضل هذه الطائفة من المواهب الربانية واسأل ربك أن يجعل لك نصيبا مما فاض عليهم من تفضلاته على عباده . اللهم يارب وياخالق الكل ويامستوي على عرشك اجعل لنا نصيبا مما مننت به على هؤلاء الصالحين وتفضلت به عليهم فالأمر أمرك والخير خيرك ولا معطي غيرك

وبالجملة فمن أراد أن يعرف أولياء هذه الأمة وصالحي المؤمنين المتفضل عليهم بالفضل الذي لا يعدله فضل والخير الذي لا يساويه خير **فليطالع الحلية لأبي نعيم وصفة الصفوة لابن الجوزي فإنهما تحريا ماصح وأودعا كتابيهما من مناقب الأولياء** المروية بالأسانيد الصحيحة ما يحدث بعضه بصنيع من يقف عليه إلى طريقهم والاقتداء بهم وأقل الأحوال أن يعرف مقادير أولياء الله وصالحي عباده ويعلم أنهم القوم الذين لا يشقى بهم جليسهم ولا يغبن من يتأسى بهم ويمشي على طريقهم فإن ذلك منه بمجرده منزع من منازع الخير ومهتع من مهاتع الرشد وقد صح عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : (أنت مع من أحببت) فمحبة الصالحين قربة لا تهمل وطاعة لا تضيع وإن لم يعلم كعملهم ولا جهد نفسه كجهدهم لأنفسهم

وفي هذا المقدار كفاية لمن له هداية والحمد لله أولا وآخرا والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله ورضي الله عن صحبه الراشدين) انتهى كلام الشوكاني

بل أعظم من ذلك أن للشوكاني رحمه الله رسالة اسمها (الصوارم الحداد) في تكفير محيي الدين ابن عربي والقائلين بالوحدة والاتحاد وهي مطبوعة ضمن الفتح الرباني ٩٨٣/٥ وما بعدها، **لكن العجيب أن الشوكاني كتب على طرة الرسالة بخط يده بعد أربعين سنة من تأليفها التالي** : (يقول مؤلف هذه الرسالة عفى الله عنه : **هو تائب إلى الله من جميع ما حرره فيها مما لا يرضي الله عز وجل وقد طالعت بعد تأليفها الفتوحات والفصوص** [لابن عربي] فرأيت ما للتأويل في مدخل **لا سيما عند هؤلاء القوم الذين هم خلاصة الخلاصة من عباد الله عز وجل**

كان تحرير هذا بعد تحرير الرسالة بزيادة على أربعين سنة ، كتبه محمد بن علي الشوكاني عفى الله عنه) انتهى كلام ا لشوكاني كما هو في طرة الصوارم ضمن الفتح الرباني وهي بخط الشوكاني نفسه وهذا ظاهر عند المقارنة

فإن قيل: لعل بعضهم كذب عليه وحاول أن يقلد خطه كما زعمه البعض، قيل: هذا يدفعه ما ذكره الشوكاني في البدر الطالع ٣٧٨/١ حيث قال : (وكان تحرير هذا الجواب في عنفوان الشباب ، **وأنا الآن أتوقف في حال هؤلاء وأتبرأ من كل ما كان من أقوالهم وأفعالهم مخالفا لهذه الشرية البيضاء الواضحة ، التي ليلها كنهارها ، ولم يتعبدني الله بتكفير من صار في ظاهر أمره من أهل الإسلام**

وهب أن المراد بما في كتبهم وما نقل عنهم من الكلمات المستنكرة المعنى الظاهر والمدلول العربي، وأنه قاض على قائله بالكفر البواح والضلال الصراح ، فمن أين لنا أن قائله لم يتب عنه ؟؟ ..) اه

ويدفعه أيضا ما ذكره صديق حسن خان في كتابه التاج المكلل ص ١٧٥ حيث قال : (قلت: والمذهب الراجح فيه [أي ابن عربي] على ما ذهب إليه العلماء المحققون الجامعون بين العلم والعمل والشرع **السكوت في شأنه وصرف كلامه المخالف لظاهر الشرع إلى محامل حسنة وكف اللسان عن تكفيره وتكفير غيره من المشايخ الذين ثبتت تقواهم في الدين** وظهر عليهم في الدنيا بين المسلمين وكانوا في ذروة عليا من العمل الصالح

ومن ثم رأيت شيخنا الإمام العلامة الشوكاني في الفتح الرباني مال إلى ذلك وقال : لكلامه محامل ورجع عما كتبه في أول عمره بعد أربعين سنة) انتهى كلام صديق خان

تنبيه مهم :

ليس المراد هنا هو بيان الموقف من ابن عربي وما في كتبه مما ظاهره الكفر فذلك يرجع إليه في مظانه من كتب التراجم خصوصا شذرات الذهب لابن العماد فقد ذكر في ترجمة ابن عربي أقوال أهل العلم فيه، وهناك كتاب للبقاعي اسمه (تنبيه الغبي إلى تكفير ابن عربي) وكتاب آخر للسيوطي اسمه (تنبيه الغبي إلى تبرأة ابن عربي) وإنما المراد هنا هو بيان موقف الإمام الشوكاني من التصوف وأهله، وللفقير رسالة مفردة بعنوان: (موقف الإمام الشوكاني من التصوف والصوفية) ضمن مجموعة الرسائل المطبوعة بسم (مواهب الكريم الفتاح بمجموع رسائل عبد الفتاح)

الشيخ محمد رشيد رضا :

قال كما في مجلة المنار السنة الأولى ص٧٢٦ : (**لقد انفرد الصوفية بركن عظيم من أركان الدين، لا يطاولهم فيه مطاول، وهو التهذيب علماً وتخلقاً وتحققاً**، ثم لما دونت العلوم في الملة، كتب شيوخ هذه الطائفة في الأخلاق ومحاسبة النفس..)اه

الإمام حسن البنا :

قال كما في مذكرات الدعوة والداعية ص٣٠: (**رأي في التصوف** :

ولعل من المفيد أن أسجل في هذه المذكرات بعض خواطر - حول التصوف والطرق في تاريخ الدعوة الإسلامية - **تتناول نشأة التصوف وأثره وما صار إليه وكيف تكون هذه الطرق نافعة للمجتمع الإسلامي**. وسوف لا أحاول الاستقصاء العلمي أو التعمق في المعاني الاصطلاحية فإنما هي مذكرات تكتب عفو الخاطر فتسجل ما يتوارد في الذهن وما تتحرك به المشاعر، فإن تكن صوابا فمن الله ولله الحمد، وإن تكن غير ذلك فالخير أردت ولله الأمر من قبل ومن بعد.

حين اتسع عمران الدولة الإسلامية في صدر القرن الأول، وكثرت فتوحاتها وأقبلت الدنيا على المسلمين من كل مكان، وحببت إليهم ثمرات كل شيء، وكان خليفتهم بعد ذلك يقول للسحابة في كبد السماء : شرقي أو غربي فحيثما وقع قطرك جاءني خراجه. وكان طبيعيا أن

يقبلوا على هذه الدنيا يتمتعون بنعيمها ويتذوقون حلاوتها وخيراتها في اقتصاد أحيانا وفي إسراف أحيانا أخرى، وكان طبيعيا أمام هذا التحول الاجتماعي، من تقشف عصر النبوة الزاهر إلى لين الحياة ونضارتها فيما بعد ذلك، أن يقوم من الصالحين الأتقياء العلماء الفضلاء دعاة مؤثرون يزهدون الناس في متاع هذه الحياة الزائل، ويذكرونهم بما قد يسره من متاع الآخرة الباقي: "وإن الدار الآخرة لهي الحيوان لو كانوا يعلمون" ومن أول هؤلاء الذين عرفت عنهم هذه الدعوة – الإمام الواعظ الجليل – الحسن البصري، وتبعه على ذلك كثير من أضرابه الدعاة الصالحين، فكانت طائفة في الناس معروفة بهذه الدعوة إلى ذكر الله واليوم الآخر. والزهادة في الدنيا، وتربية النفوس على طاعة الله وتقواه.

وطرأ على هذه الحقائق ما طرأ على غيرها من حقائق المعارف الإسلامية فأخذت صورة العلم الذي ينظم سلوك الإنسان ويرسم له طريقا من الحياة خاصا: مراحله الذكر والعبادة ومعرفة الله، ونهايته الوصول إلى الجنة ومرضاة الله.

وهذا القسم من علوم التصوف، واسمه" علوم التربية والسلوك"، لا شك أنه من لب الإسلام وصميمه، ولا شك أن الصوفية قد بلغوا به مرتبة من علاج النفوس ودوائها، والطب لها والرقي بها، لم يبلغ إليها غيرهم من المربين، ولا شك أنهم حملوا الناس بهذا الأسلوب على خطة عملية من حيث أداء فرائض الله واجتناب نواهيه، وصدق التوجه إليه، وإن كان ذلك لم يخل من المبالغة في كثير من الأحيان تأثراً بروح العصور التي عاشت فيها هذه الدعوات: كالمبالغة في الصمت والجوع والسهر والعزلة.. ولذلك كله أصل في الدين يرد إليه، فالصمت أصله الإعراض عن اللغو، والجوع أصله التطوع بالصوم، والسهر أصله قيام الليل، والعزلة أصلها كف الأذى عن النفس ووجوب العناية بها.. ولو وقف التطبيق العملي عند هذه الحدود التي رسمها الشارع لكان في ذلك كل الخير.

ولكن فكرة الدعوة الصوفية لم تقف عند حد السلوك والتربية، ولو وقفت عند هذا الحد لكان خيرا لها وللناس، ولكنها جاوزت ذلك بعد العصور الأولى إلى تحليل الأذواق والمواجد، ومزج ذلك بعلوم الفلسفة والمنطق ومواريث الأمم الماضية وأفكارها، فخلطت بذلك الدين بما ليس منه، وفتحت الثغرات الواسعة لكل زنديق أو ملحد أو فاسد الرأي والعقيدة ليدخل من هذا الباب باسم التصوف والدعوة إلى الزهد والتقشف، والرغبة في الحصول على هذه النتائج

الروحية الباهرة وأصبح كل ما يكتب أو يقال في هذه الناحية يجب أن يكون محل نظر دقيق من الناظرين في دين الله والحريصين على صفائه ونقائه.

وجاء بعد ذلك دور التشكل العملي للفكرة فنشأت فرق الصوفية وطوائفهم، كل على حسب أسلوبه في التربية. وتدخلت السياسة بعد ذلك لتتخذ من هذه التشكيلات تكأة عند اللزوم، ونظمت الطوائف أحيانا على هيئة النظم العسكرية، وأخرى على هيئة الجمعيات الخاصة.. حتى انتهت إلى ما انتهت إليه من هذه الصورة الأثرية التي جمعت بقية ألوان هذا التاريخ الطويل، والتي ممثلها الآن في مصر مشيخة الطرق الصوفية ورجالها وأتباعها.

ولا شك أن التصوف والطرق كانت من اكبر العوامل في نشر الإسلام في كثير من البلدان وإيصاله إلى جهات نائية ما كان ليصل إليها إلا على يد هؤلاء الدعاة، كما حدث ويحدث في" بلدان أفريقيا وصحاريها ووسطها، وفي كثير من جهات آسيا كذلك.

ولا شك أن الأخذ بقواعد التصوف في ناحية التربية والسلوك له الأثر القوي في النفوس والقلوب، ولكلام الصوفية في هذا الباب صولة ليست لكلام غيرهم من الناس.. ولكن هذا الخلط أفسد كثيرا من هذه الفوائد وقضى عليها. ومن واجب المصلحين أن يطيلوا التفكير في إصلاح هذه الطوائف من الناس، وإصلاحهم سهل ميسور، وعندهم الاستعداد الكامل له، ولعلهم أقرب الناس إليه لو وجهوا نحوه توجيها صحيحا، وذلك لا يستلزم اكثر من أن يتفرغ نفر من العلماء الصالحين العاملين، والوعاظ الصادقين المخلصين لدراسة هذه المجتمعات، والإفادة من هذه الثروة العلمية، وتخليصها مما علق بها، وقيادة هذه الجماهير بعد ذلك قيادة صالحة.

وأذكر أن السيد توفيق البكري رحمه الله فكر في ذلك، وقد عمل دراسات علمية عملية لشيوخ الطرق وألف لهم فعلا كتابا في هذا الباب، ولكن المشروع لم يتم ولم يهتم به من بعده الشيوخ، وأذكر من ذلك أن الشيخ عبد الله عفيفي رحمه الله كان معنيا بهذه الناحية وكان يطيل الحديث فيها مع شيوخ الأزهر وعلماء الدين، ولكنه كان مجرد تفكير نظري لا أثر للتوجه إلى العمل فيه، **ولو أراد الله والتقت قوة الأزهر العلمية بقوة الطرق الروحية بقوة الجماعات الإسلامية العملية، لكانت أمة لا نظير لها**: توجه ولا تتوجه، وتقود ولا تنقاد، وتؤثر في غيرها ولا يؤثر شيء فيها، وترشد هذا المجتمع الضال إلى سواء السبيل)اه

وقال الشيخ حسن البنا في مقال له في جريدة (الإخوان المسلمين) ضمن مقالاته عن التصوف وهو يذكر منهجه في تلك المقالات: (**وفي الحق أن التصوف الصحيح هو لباب الإسلام وأن الصوفية الصادقين من خيار رجاله الذين عملوا على نشره وإعزازه وتربية النفوس على مبادئه بطرق لم يسبق إليها غيرهم من الفلاسفة والمربين**

وفي رأيي أن التصوف قسمان: قسم ديني إسلامي يستمد أصوله وأحكامه من كتاب الله وسنة رسوله، وتصوف فلسفي عقلي يستمد أصوله وقواعده من نظريات الفلاسفة وأحكامهم على العوالم والنفوس.

وقد اختلط القسمان اختلاطا كبيرا عز معه إدراك الحق من الباطل واستخدمت فيه آراء الفلاسفة لتفسير كلام الله وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم بقدر ما تأول به المتأولون الآيات والأحاديث بما يتفق وآراء الفلاسفة حتى صار للصوفية لسان خاص بهم واصطلاحات مقصورة عليهم

ونلاحظ أن التصوف الإسلامي نفسه قسمان: قسم يتعلق بالتربية والتهذيب وتطهير النفوس وحملها على محاسن الأخلاق واستكمال الفضائل وهو المعروف بعلم المعاملة

وقسم بتعلق بنتائج الرياضة وثمرات العبادة من الأذواق والمواجيد وقد اختلط القسان كذلك اختلاطا يصعب معه تمييز أحدهما من الآخر ولهذا يتعلق بعض المريدين بالثمرة ويتشوقون إليها قبل أن يسلكوا سبيل الوصول بل ربما غفلوا عنه واستهتروا به.

كما يلاحظ أن التصوف الإسلامي اختلط به كثير من نتائج الأهواء وثمرات الغايات والأغراض ومظاهر الحياة السياسية والاجتماعية في العصور التي مرت به وهذا إجمال له تفصيل ليس هذا محل ذكره

والذي نقصد إليه أن نقول إن خطتنا في الكتابة عن التصوف ستكون مبنية على الأصول الآتية إن شاء الله:

١- إيراد أحكام علم المعاملة وبيان أدلتها من الكتاب والسنة

٢- الاقتصاد في إيراد ثمراتها من الأذواق والمواجيد على ما يشوق إلى سلوك سبيله ولا يتعارض مع الكتاب والسنة

٣- بيان التفسير الصحيح لألفاظ الفن التي وضعها له شيوخه وأئمته

٤- العناية بالقدوة الصالحة في سيرة الشيوخ رضوان الله عليهم وكلامهم

٥- العناية بالناحية العملية من نواحي هذا العلم لأنه أساسه وأصله)اه وانظر كتاب (نظرات في التربية والسلوك عند البنا) لعصام تليمة ص٢١ وكتاب (حسن البنا والحلقة المفقودة) لعون القدومي ص٢٩

وفي العدد الثاني من الجريدة الصادر في ٢٨ صفر سنة ١٣٥٢هـ نشر الشيخ مقالا بعنوان (معنى التصوف الإسلامي) ومما جاء فيه: (**يراد بالتصوف الزهد في الدنيا والالتفات إلى الآخرة والاجتهاد في طاعة الله أو يراد به تطهير النفس من أدران البشرية حتى تصفو وتشرق وتكون مرآة للحقائق الربانية والأسرار الإلهية أو يراد به فناء العارف عما سوى الله فلا يرى موجودا بذاته غيره، أو يراد به اتباع الرسول في أقواله وأفعاله وأحواله أو يراد به هذه المعاني كلها لتلازمها واتصالها وترتب بعضها على بعض،** قال الجنيد قدس الله سره: التصوف هو أن يميتك الحق عنك ويحييك به وقال: هو أن تكون مع الله بلا علاقه...)اه ثم ذكر طائفة من أقوال أئمة التصوف في ذلك

وفي العدد الخامس الصادر بتاريخ ٢٠ ربيع الأول سنة ١٣٥٢هـ نشر الشيخ مقالا بعنوان (التصوف والكتاب والسنة) وما جاء فيه: (**التصوف الإسلامي بمعناه الصحيح يستمد أصوله وقواعده من الكتاب والسنة ككل علم إسلامي وذلك هو الذي تظاهرت عليه** أقوال شيوخه وأئمته. قال الجنيد قدس الله سره: علمنا هذا مقيد بالكتاب والسنة...)اه ثم ذكر أقوال أئمة التصوف في ذلك، ومن أراد الزيادة في أقوال البنا في التصوف وما يتعلق به فليرجع إلى الكتابين المشار إليهما سابقا

الشيخ محمد الأمين الشنقيطي :

قال في أضواء البيان في تفسير قول الله تعالى : (أفعصيت أمري) ٨٨/٤: (قد قدمنا في سورة " مريم " ما يدل على ان بعض الصوفية على الحق . **ولا شك ان منهم ما هو على الطريق المستقيم من العمل بكتاب الله وسنة ورسوله صلى الله عليه وسلم ، وبذلك عالجوا امراض قلوبهم وحرسوها ، وراقبوها وعرفوا احوالها ، وتكلموا على احوال القلوب كلاما مفصلا** كما هو معلوم ، كعبد الرحمن بن عطية ، او ابن احمد بن عطية ، او

ابن عسكر اعني ابا سليمان الداراني ، وكعون بن عبد الله الذي كان يقال له حكم الامة ، واضرابهما ، وكسهل بن عبد الله التستري ، ابي طالب المكي ، وابي عثمان النيسابوري ، ويحيى بن معاذ الرازي ، والجنيد بن محمد ، ومن سار على منوالهم ، لانهم عالجوا امراض انفسهم بكتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ، ولا يحيدون عن العمل بالكتاب والسنة ظاهرا وباطنا ، ولم تظهر منهم اشياء تخالف الشرع .

فالحكم بالضلال على جميع الصوفية لا ينبغي ولا يصح على اطلاقه ، والميزان الفارق بين الحق والباطل في ذلك هو كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم . فمن كان منهم متبعا لرسول الله صلى الله عليه وسلم في اقواله وافعاله ، وهديه وسمته ، كمن ذكرنا وامثالهم ، فانهم من جملة العلماء العاملين ، ولا يجوز الحكم عليهم بالضلال . واما من كان على خلاف ذلك فهو الضال .

نعم ، صار المعروف في الآونة الأخيرة ، وازمنة كثيرة قبلها بالاستقراء ، ان عاملة الذين يدعون التصوف في اقطار الدنيا الا من شاء الله منهم دجاجلة يتظاهرون بالدين ليضلوا العوام الجهلة وضعاف العقول من طلبة العلم ، ليتخذوا بذلك اتباعا وخدما ، واموالا وجاها ، **وهم بمعزل عن مذهب الصوفية الحق** ، لا يعلمون بكتاب الله ولا بسنة نبيه ، واستعمارهم لافكار ضعاف القول اشد من استعمار كل طوائف المستعمرين .

فيجب التباعد عنهم ، والاعتصام من ضلالتهم بكتاب الله وسنة نبيه ، ولو ظهر على ايديهم بعض الخوارق ، ولقد صدق من قال : اذا رايت رجلا يطير وفوق ماء البحر قد يسير ولم يقف عند حدود الشرع فانه مستدرج او بدعي

والقول الفصل في ذلك هو قوله تعالى : { ليس بأمانيكم ولا امانى اهل الكتاب من يعمل سوءا يجز به ولا يجد له من دون الله وليا ولا نصيراومن يعمل من الصالحات من ذكر او انثى وهو مؤمن فاولائك يدخلون الجنة ولا يظلمون نقيراومن احسن دينا ممن اسلم وجهه لله وهو محسن واتبع ملة ابراهيم حنيفا }، فمن كان عمله مخالفا للشرع كمتصوفة اخر الزمان فهو الضال . ومن كان عمله موافقا لما جاء به نبينا عليه الصلاة والسلام فهو المهتدي . نرجو الله تعالى ان يهدينا واخواننا المؤمنين ، والا يزيغنا ولا يضلنا عن العمل بكتابه وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم التي هي حجة بيضاء ، ليلها كنهارها ، لا يزيغ عنها الا هالك)اه

حوار مع الدكتور عبدالعزيز القاري حول التصوف :

(الشيخ عبد العزيز القارئ : **التصوف لم ينصف !** حوار/ عبد الله بن محمد الرشيد ١٤٢٦/٢/٣٠ ٢٠٠٥/٠٤/٠٩

شدد الفقيه السعودي عبد العزيز القارئ في لقاء مع" الإسلام اليوم "على ضرورة تبني مبادرة إصلاحية عاجلة وحقيقية للمنهج الصوفي لتنقيته من الشوائب والعودة به إلى جادة الطريق .

وقال الدكتور عبد العزيز القارئ الأكاديمي السابق بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة:

إن في الصوفية عدة جوانب صحيحة وتعد متوافقةً مع الكتاب والسنة، وهو – أي التصوف– "ليس باطلاً من أساسه"، منوهاً ببعض حركات التحرر الوطني التي ظهرت خلال الحقبة الاستعمارية في العالم الإسلامي في القرن الماضي والتي اصطبغت بالصبغة الصوفية كالسنوسية في ليبيا والمهدية في السودان.

وأوضح القارئ في حوار معه حول "التصوف الحق" أن دعوته للإصلاح فرضتها الحاجة الماسة لاجتماع كلمة أهل السنة ضد "اليهود والأمريكان".

ونادى الدكتور عبد العزيز القارئ باتباع المنهج العلمي المنصف عند الحكم على الصوفية و مناقشتهم بدلاً من السب والتجريح واتخاذهم أعداء والحكم على مواقفهم بناء على هذه النظرة .. فإلى الحوار

س : الصوفية كمصطلح ومذهب ـ حادثة على الدين الإسلامي ، فهل هناك صوفية صحيحة موافقة للمنهج النبوي؟

ج: لا شك في أن التصوف والصوفية من المصطلحات الحادثة، ويقال إن أقدم ما عرف من استعمال لهذا الوصف في أوائل القرن الثاني الهجري، روي عن الحسن البصري رحمه الله قوله: "رأيت صوفيًا في الطواف فأعطيته شيئًا فلم يأخذه وقال: معي أربعة دوانيق فيكفيني ما معي" [اللمع/ لأبي نصر السراج ص٤٢].

ولا مشاحة في الاصطلاح، وإلا لأبطلنا كثيرًا من المصطلحات الصحيحة. والتصوف مذهب في السلوك يعني بالأعمال القلبية أكثر من غيرها وهو في بدايات نشأته كان مذهبًا في الزهد والانقطاع للعبادة والذكر والتقلل من الدنيا، والإعراض عما في أيدي الناس، وأن

يأكل من كسب يده؛ كما كان يفعل "أويس القرني" وأمثاله من العبّاد والزهّاد، وإذا كان التصوف انشغالاً بالخالق وقطع الأمل عن المخلوق فهو يحقق جوهر التوحيد؛ قال معروف الكرخي: "التصوف الأخذ بالحقائق واليأس مما في أيدي الخلائق". [اللمع/ للسراج ص٢٥].
وقال ذو النون المصري: "الصوفية قوم آثروا الله تعالى على كل شيء فآثرهم الله على كل شيء" [اللمع/ للسراج ص٢٦].

وهذه معان صحيحة، وإذا كان التصوف بهذه المعاني فهو يندرج في مقامات الإحسان الذي عرّف في الحديث النبوي بأن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك..

وفي كلام أهل التصوف عبارات موهمة في ظاهرها بل وموحشة أحيانًا، ولكن تحتمل وجهًا صحيحًا يمكن حملها عليه **فمن الإنصاف أن تحمل على الوجه الصحيح كالفناء، والشهود، والكشف، ونحو ذلك**، وهذا ما يقرره شيخ الإسلام ابن تيمية عند نقده للصوفية [انظر جزء السلوك من مجموع الفتاوى /ص٣٣٧].

س : ما تقييمكم للمنهج العلمي المتبع في دراسة المذهب الصوفي؟

ج : مذهب أهل التصوف ينبغي أن يدرس بإنصاف، ولا نفعل كما يفعل بعضهم اليوم، اتخذوهم أعداء وجعلوا مواقفهم على هذا الأساس. وأدى هذا إلى الاشتغال بالسب والتجريح بأسلوب غير علمي، فإذا كان هناك انحراف لدى الصوفية اليوم فليس معنى هذا أن المذهب من أساسه باطل، بل فيه جوانب صحيحة موافقة للكتاب والسنة، وهو تصوف العلماء والفقهاء والمحدثين.. كالجنيد، وشيخه الحارث المحاسبي، وكالهروي صاحب منازل السائرين الذي شرحه ابن القيم في كتابه "مدارج السالكين"، فبين ما فيه من معانٍ صحيحة موافقة للكتاب والسنة واستدرك عليه بعض المآخذ فبين ما فيها من خطأ، بأدب رفيع هو المعتاد من مثله من المحققين مع مثل الهروي من العلماء.

وهذا أسلوب بنّاء منصف، والإنصاف حق مع المخالف وهو منهج السلف. والتحقيق والتدقيق في بحث مثل هذه المسائل هو عادة المحققين من علماء السلف، انظر ماذا قال شيخ الإسلام ابن تيمية وهو يبحث مسألة "المولد النبوي" فهو يرى بدعية اتخاذ هذه المناسبة عيدًا لكنه يقول: "فتعظيم المولد واتخاذه موسمًا قد يفعله بعض الناس ويكون له فيه أجر عظيم لحسن

قصده وتعظيمه لرسول الله –صلى الله عليه وسلم-" [اقتضاء الصراط المستقيم/ تحقيق العقل/ ١٢٦/٢].

فنحن نقول: فمثل هذا البعض لا ينبغي أن نتخذهم أعداء؛ بل نتعاون معهم على الإصلاح؛ إصلاح التصوف، وتنقيته من الخرافات والبدع، وإصلاح أحوال المسلمين عامة.

س : كيف تقدرون أهمية وعي المراحل التاريخية للتصوف ؟ خصوصاً إذا استصحبنا وصف شخصيات إسلامية بالتصوف؟

ج : لاشك أن مذهب التصوف مرّ بمراحل في تاريخه ولم يبق على صفائه الأول، وأخطر هذه المراحل لما غزته الفلسفة ونظريات الحلول والاتحاد ووحدة الوجود، تحول قسم من التصوف إلى فلسفة غريبة على التراث الإسلامي وهي فلسفة: "ما في الجبة إلا الله".

ثم مرت الصوفية بمراحل أخرى ، حيث نجد بعض شيوخ الطرق الصوفية ملتزمون بالكتاب والسنة، كالشيخ عبد القادر الجيلاني، فإذا التزموا بطريقته فهم على صواب، وعلى منهج أهل السنة والجماعة.. يقول رحمه الله: "اعتقادنا اعتقاد الصحابة والسلف الصالح [سير أعلام النبلاء ٢٠/ص٤٤٢]. ويقول: "اتبع الشرع في جميع ما ينزل بك...". ويقول: "والقدر ظلمة فادخل في الظلمة بالمصباح وهو (الحكم): كتاب الله وسنة رسوله –صلى الله عليه وسلم- لا تخرج عنهما" [مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية ٥١٩/٢٠].

وكثير من أهل التصوف فقهاء ملتزمون بمنهج أهل السنة والجماعة ولا تخرج أقوالهم ولا أحوالهم عن الكتاب والسنة: كالفضيل بن عياض، وإبراهيم بن أدهم، وأبي سليمان الداراني، ومعروف الكرخي، والسري السقطي، والجنيد، وأمثالهم..

ولكن أتباع هذه الطرق الصوفية اليوم أكثرهم غلب عليه البدع والخرافات، واتباع الأهواء والشهوات، فشوهوا هذا المذهب، بل وعملوا بعكسه، فبدلاً من اليأس من الخلائق والتعلق بالخالق، تعلقوا بالمخلوق حيًا وميتًا، وانشغلوا عن الخالق سبحانه وتعالى.

س : برأيكم ما هو الأسلوب العلمي المناسب للتعامل مع الطرق الصوفية المنتشر اليوم؟

ج : **نعم إن معظم المسلمين اليوم صوفية، منهم من تمسك بالتصوف الصحيح الذي يستضيء بالمصباح الذي هو الكتاب والسنة** كما يقول الشيخ عبد القادر الجيلاني –رحمه الله-، ولكن أكثرهم انحرفوا عن التصوف الصحيح.

وينبغي أن يكون موقفنا العملي والنظري من هذه المسألة هدفه الهداية والإصلاح، وليس كما يفعل "الخلوف" السب والتجريح وقد أوصاني سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز – رحمه الله– بالتلطف مع الصوفية بالمدينة وقال لي كلمة معبرة عن منهج السلف الصالح: "مقصودنا الهداية وليس النكاية".

س : ازداد الاهتمام بعد الحادي عشر من سبتمبر بالطرق الصوفية، ومحاولة تعزيزها بين المسلمين، باعتبارها (الدين الساكن المسالم)، ما رأيكم؟ وألا تخشون أن يحمل طرحكم على هذا السياق؟

ج : **ليس صحيحًا أن التصوف يعبر عن الدين الساكن المسالم المتخاذل،** هذا تعميم يخالف المنهج الصحيح في البحث والتحقيق. نعم هناك منحرفون من الصوفية قد يستغلهم العدو ولإضعاف المسلمين، ولكن هناك منحرفون أيضًا من غير الصوفية قد يسخّرون أنفسهم ليغزونا العدو على ظهورهم..

وينبغي ألا ننسى أن الذي فتح "القسطنطينية" كان مجاهدًا صوفيًا هو السلطان العثماني "محمد الفاتح –رحمه الله–". وأن بعض حركات التحرير من نير الاستعمار الأوربي في العالم الإسلامي الحديث كانت صوفية: كالسنوسية في ليبيا والمهدية في السودان، وأن الذين يتصدون للدعوة والجهاد في القارة الهندية (الباكستان والهند) أبرزهم صوفية وهم "الديوبنديون"

بينما أهل الحديث المعاصرون في الهند والباكستان مشغولون بسب الإمام أبي حنيفة، مع أن أسلافهم كانوا أهل دعوة وجهاد كإسماعيل الشهيد –رحمه الله–، و طرحي هذا من أهدافه أن نجتمع على كلمة سواء كل من كان في دائرة الإسلام الكبرى: "دائرة أهل السنة" التي لا يقف خارجها إلا غلاة الفرق المنحرفة. نجتمع وتتحد قوانا ضد العدو المشترك الذي غزانا في عقر دارنا وهم "اليهود والأمريكان"، وأذنابهم من المتأمركين والرافضة

س : ما الذي تهدفون إليه من تقسيم الصوفية إلى : صوفية حقة، و صوفية باطلة؟

ج : ليس هذا التقسيم إلى تصوف صحيح وصوفية منحرفة من قبل نفسي أو هو شيء أحدثته، بل هو المفهوم من كلام المحققين من علماء السلف، كما نقرأ في كلام شيخ الإسلام

ابن تيمية، وانظر جزء "السلوك" من مجموع الفتاوى [من صفحة ٣٣٧ إلى ٣٤٣ ومن صفحة ٥١٦ إلى ٥٤٨]

فماذا أصنع بمن لا يقرؤون حتى كلام ابن تيمية –رحمه الله– ويدّعون أنهم سلفيون؟! إن الهدف هو الإصلاح، من داخل الصوفية؛ لأنهم إذا عادوا إلى التصوف الصحيح الذي هو تصوف العلماء ائتلفنا جميعاً على منهج أهل السنة والجماعة.

ونحن اليوم بأمس الحاجة إلى اجتماع كلمة أهل السنة ضد العدو المشترك: "اليهود، والأمريكان" وأذنابهم من المتأمركين والروافض . ولما فشا الانحراف في الصوفية في القارة الهندية حتى وصل الفساد فيهم إلى الاعتقاد بأن التصوف لا دين له، فالمتصوفة من المسلمين يجتمعون مع متصوفة الهندوس والبوذيين وغيرهم من ملل الكفر، قام الشيخ المحدّث "أشرف علي التهانوي" بحركة إصلاحية من داخل التصوف قائلاً: التصوف هو التزكية التي تخضع لأحكام الشريعة الإسلامية وتحصل باتباعها والامتثال لها..." [بين التصوف والحياة/ لعبد الباري الندوي/ ٢٨]...) اه

مقال للدكتور عبد العزيز القاري حول التصوف

بعنوان : (**التصوف الصحيح هو عين التوحيد**) **يقول** : (الحمد لله رب العالمين، الرحمن الرحيم، مالك يوم الدين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا ونبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.

أما بعد : فموضوعي بعنوان "التصوف الصحيح هو عين التوحيد"، وهذه الكلمة ذات قرنين أذكرهما بإيجاز، وسيأتي التفصيل ــإن شاء اللهــ. أول القرنين : المراد إنصاف التصوف. والقرن الثاني : المراد إصلاح التصوف، وسأفصل هذين القرنين ــإن شاء اللهــ

لكن أبدأ بشيء من التاريخ وبيان أصول النشأة ونحو ذلك من غير تطويل فأقول : التصوف الصحيح بني على الزهد، والزهد أصل من أصول الشريعة، ولذلك عندما كتب المتقدمون في هذا الشأن كتبوا فيه تحت هذا المصطلح " الزهد " كعبد الله بن المبارك المتوفى سنة(١٨١) من الهجرة، وكهناد ابن السري، والإمام أحمد ابن حنبل، هؤلاء كتبوا تحت مصطلح "الزهد " فعندئذ المصدر واضح : الكتاب والسنة والقدوة رسول اللهــصلى الله عليه وسلمــ وأصحابه

الكرام والتابعون ومن بعدهم من أهل القرون الثلاثة المفضلة، ومن المهم في هذا الشأن ربطه بالرعيل الأول، الصحابة الكرام ــرضي الله عنهم أجمعينــ، ولذلك فقد أجاد الحافظ المحدث أبو نعيم الأصبهاني في كتابه (حلية الأولياء) إذ ذكر المتقدمين والمتأخرين من أهل العبادة والزهد مبتدأ بأصحاب رسول اللهــصلى الله عليه وسلمــ، وفعل مثله ابن الجوزي الحنبلي المتوفى سنة (٥٩٧) من الهجرة في كتابه (صفة الصفوة)، وكذلك أبو القاسم التيمي في (سير السلف)، ولكن أكثر من كتب في التصوف أهمل ذكر طريقة الصحابة والتابعين، وبنى على ما روي من أقوال وأحوال وزهد المتأخرين من بعد القرون الثلاثة المفضلة أو من عند إبراهيم بن أدهم، والفضيل بن العياض، وأبي سليمان الداراني ونحوهم، كما فعل أبو القاسم القشيري برسالته القشيرية، وكما فعل أبو عبد الرحمن السلمي في (طبقات الصوفية)، وكما فعل أبو بكر الكلاباذي محمد بن إسحاق في كتابه (التعرف لمذهب أهل التصوف)، وكما فعل أبو نصر السراج في كتابه (اللمع).

هذه أهم مصادر التصوف، والكتب السابقة التي ذكرناها أعظم مصادر التصوف (حلية الأولياء) لأبي نعيم و (صفة الصفوة) لابن الجوزي و (سير السلف) لأبي القاسم. هذه مصادر التصوف على الطريقة الأولى التي تشمل المتقدمين والمتأخرين؛ يبدؤون بأصحاب رسول اللهــصلى الله عليه وسلمــ، فإذن وضعوا الأمر في نصابه الصحيح، وهذا أسلوب آخر لمن ألف في هذا الباب اقتصر فيه على المتأخرين من العباد والزهاد وما نقل من أحوالهم وأقوالهم، أو ابتداءً من إبراهيم بن أدهم والفضيل ابن عياض ومن بعدهم.

وأصلاً بدأت ظاهرة العباد والزهاد منذ وقت مبكر؛ من وقت التابعين، يعني من تفرغوا للعبادة وللزهد وانقطعوا عن الدنيا، وفي هذا الباب يذكر أبو نعيم أويساً القرني كمثال على هذا الأسلوب "الزهد".

وكان لظهور هذه الفئة من العباد والزهاد تذكيراً للمجتمع وإيقاظاً له، خاصةً أن بوادر الترف في حياة المجتمع كانت قد بدأت تظهر فكان لظهور هؤلاء العباد ولأقوالهم وأحوالهم أثراً تحذيرياً للمجتمع من أن يقع فريسة الترف والغفلة وتذكيراً له بمهمته الأساسية من الذكر والعبادة، وإعلاناً بأن هذه الدنيا لا قيمة لها، فهذا كان له أثر الإيقاظ للمجتمع وبوادر الترف تهجم عليه، ولذلك كانت أقوال هؤلاء العباد تدور حول هذه المعاني وحول محبة الله ــعز وجلــ

والانقطاع له وتقديم محبته والتعلق به على سائر العلائق، وكانوا يوصون مع ذلك بأن يرد كل ما يصدر عنهم إلى الكتاب والسنة.

يقول أبو يزيد البسطامي : " إذا أعطي الرجل من الكرامات حتى يرتقي في الهواء فلا تغتروا به حتى تروا كيف تجدونه عند الأمر والنهي وحفظ الحدود وأداء الشريعة.

والتصوف إذن بهذا المفهوم ليس منفصلاً عن الكتاب والسنة، بل هو مذهب في السلوك مستنبط منهما ومن أحوال الصحابة الكرام، وآدابه ليست غريبة على الدين.

يقول سهل بن عبد الله التستري : أصول طريقتنا سبعة : التمسك بالكتاب، والاقتداء بالسنة، وأكل الحلال، وكف الأذى، وترك المعاصي، والتوبة، وأداء الحقوق.

فهذه الآداب ليست غريبة على الدين هذا مذهب في السلوك مستنبط من مصدر هذا الدين الكتاب والسنة. وكان هؤلاء الأوائل من أئمة التصوف ملتزمين بذلك.

يقول أبو سليمان الداراني، وهو أحد أئمة التصوف بعد القرون الثلاثة : قد تخطر النكتة من نكت القوم في قلبي أياماً فلا أقبل منه ـ أي من قلبي ـ حتى يأتي بشاهدين عدلين من الكتاب والسنة.

ومثل هذا الكلام نقل عن الشيخ عبد القادر الجيلاني ــرحمه اللهــ يقول: " القدر ظلمة ـ أي الحياة المقدرة التي نعيش فيها ظلمة ـ فادخل في الظلمة بالمصباح الذي هو الحكم، والحكم هو كتاب الله وسنة رسولهــصلى الله عليه وسلمــ؛ لا تخرج عنهما ".

والشيخ عبد القادر الجيلاني كان عالماً فقيهاً متمسكاً بالكتاب والسنة، وهو من أئمة المتصوفة المتأخرين، ولذلك عني شيخ الإسلام ابن تيمية ــرحمه اللهــ بكلامه عناية عظيمة، ونقل بعض عباراته من كتاب " فتوح الغيب " وشرحها، تجد ذلك في جزء السلوك من مجموع الفتاوى، وكانت عباراته إذا احتملت عدة وجوه يحملها على أحسن الوجوه وأحسن المعاني، وكان يثني على أبي إسماعيل عبد الله بن محمد الأنصاري الهروي الحنبلي، **وهذا أيضاً من أئمة التصوف، صاحب (منازل السائرين)، وهذا كتاب مشهور يعد من أحسن مصادر التصوف الصحيح، وخاصة مع شرحه(مدارج السالكين)**، شرحه الحافظ ابن القيم ــرحمه اللهــ بكتابه (مدارج السالكين)، وهذان الإمامان من أئمة المدرسة السلفية.

شيخ الإسلام ابن تيمية والحافظ ابن القيم يضربان لنا أروع الأمثلة على أخلاق السلف، وعلى معلم مهم من معالم منهج السلف، وهو (الإنصاف)، وهو من أهم أخلاق علماء السلف.

شيخ الإسلام ابن تيمية يمدح الشيخ عبد القادر الجيلاني مدحاً عجيباً، وينقل كلامه كما ذكرت ويفسره بأحسن المعاني ويحمله على أحسن الوجوه حتى ولو احتمل عدة احتمالات، وكذلك فعل الحافظ ابن القيم في (مدارج السالكين) عندما شرح كلام الهروي في (منازل السائرين) كان يحمل كلام الهروي على أحسن المحامل وعلى أحسن المعاني.

ولما نقل شيخ الإسلام ابن تيمية كلام بعض الأئمة في التصوف أو في ذم التصوف، وكان أشد هؤلاء الأئمة الإمام الشافعي : ورد عنه ذم التصوف مطلقاً، وروي عن الإمام مالك أيضاً، بينما كان الإمام أحمد يقرأ كتب الحارث المحاسبي ونقل عنه شيء من عبارات المتصوفة، ولم ينقل عنه ذم التصوف كما نقل عن الإمام الشافعي.الإمام الشافعي كان شديداً على التصوف وعلى الكلام، وورد عنه ذم الكلام مطلقاً، وحتى قال : من اشتغل بعلم الكلام أرى أن يجلد بالسياط ويطاف به على دابة بين الناس، ويقال: هذه عقوبة من يشتغل بالكلام عن كتاب الله وسنة رسوله_ صلى الله عليه وسلم_.

ماذا يقول شيخ الإسلام ابن تيمية بعد هذا النقل؟ يقول : " والتحقيق أن فيه الممدوح والمذموم . يعني في مذهب التصوف الممدوح والمذموم . والمذموم منه ما يكون اجتهادياً، ومنه غير ذلك، كفقه الرأي فإنه قد ذم فقه الرأي طوائف من الفقهاء والعلماء والعباد ". ثم يقول : " **ومن المتسمين بهذا الاسم . أي التصوف . من أولياء الله وصفوته وخيار عباده ما لا يعلم عددهم إلا الله، كما أن من أهل الرأي** . أي من فقهاء الرأي . أهل العلم والإيمان طوائف لا يعلم عددهم إلا الله ".

هذا الكلام من إنصاف السلف، ولهذا أخذت معالم التصوف الصحيح أكثر ما أخذته من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية وأسلوبه؛ مع أنه من أشد من نقد التصوف وعلم الكلام، ولكن اختلاف الرأي لا يفسد للود قضية ولا يحمل العالم الصحيح على عدم الإنصاف، وعلى الرغم من نقده لمذهب التصوف فقد كان منصفاً في الحكم عليه ودقيقاً في بحث تفاصيله والتفريق بين ممدوحه ومذمومه.

وهذا الممدوح الذي يشير إليه شيخ الإسلام هو ما نعنيه بالتصوف الصحيح فمحاولتنا هذه ذات قرنين أو ذات شقين :

الشق الأول : إنصاف هذا المذهب بالتفريق بين صحيحه وسقيمه، **فالتصوف في جذوره الأولى كان تصوفاً صحيحاً كما ضربنا على ذلك الأمثلة وأوردنا الأدلة من كلام أئمته، فمن إنصاف هذا المذهب أن نبرز الوجه الصحيح منه ونميزه عن الوجه المنحرف.**

والتصوف مدرسة كبرى في حياة المسلمين لا يمكن إلغاؤها بجرة قلم، بل يجب الإفادة من صوابها وعرض ما سوى ذلك على الكتاب والسنة، كمدرسة الرأي سواءً بسواء، وقد لاحظنا أن شيخ الإسلام ابن تيمية ضرب المثال بهاتين المدرستين الكبيرتين، مدرسة التصوف في علم السلوك، ومدرسة الرأي في علم الفقه.

هاتان المدرستان كبيرتان لا يمكن إلغاؤهما بجرة قلم، بل يجب احترامهما والإفادة من صوابهما، وأصلاً كل المذاهب والمقالات والأفكار يجب أن تعرض على الكتاب والسنة فما وافقهما قبلناه وما ناقضهما رددناه، وهذه وصية أهل التصوف أنفسهم أبي يزيد البسطامي والشيخ عبد القادر الجيلاني، وبقية أئمة التصوف الصحيح ورموزه.

والشق الثاني لهذه المحاولة الإصلاح : **التصوف دخله كما دخل حياة المسلمين قاطبة كثير من الانحراف، شوه صورته وكدر صفاءه،** وأخطر ما شوه التصوف الفلسفة، فإن الفلسفة دخلت في الصوفية بالزندقة، كذلك مما شوه صورة التصوف وصفاءه الأول ممارسات المسلمين اليوم، فأكثر الصوفية في العالم الإسلامي تجدهم عند الأضرحة والقبور يمارسون ممارسات ليست خارجة عن حدود الكتاب والسنة فحسب، بل حتى عن التصوف الصحيح، فهؤلاء ليسوا متصوفة والصوفية منهم براء لماذا؟ لأنهم قلبوا مفهوم التصوف، **التصوف في أصله الصحيح معناه التعلق الكامل بالخالق _سبحانه وتعالى_ وقطع الأمل عن المخلوق.**

كما ورد عن ذي النون المصري يقول : " التصوف هو التعلق بالخالق وقطع الأمل عن الخلائق " ولكن هؤلاء المنحرفين عن التصوف عكسوا هذا المفهوم، تعلقوا بالمخلوق حياً وميتاً وانشغلوا عن الخالق، وما عاد التصوف في هذا الشكل المنحرف زهداً ولا عبادة، صار تكالباً على الدنيا؛ ولذلك هذا نداء لأهل التصوف العلماء منهم والحكماء أن يبادروا بإصلاح التصوف من داخله حتى يلحقوا بالركب المبارك؛ ركب الصحوة : صحوة أهل السنة والجماعة، وإن لم

يفعلوا فسيبقى الصوفية بهذا الشكل المنحرف الذي نشاهده اليوم سادرين في غيهم محجوبين عن حقيقة الدين وعن حقائق الأشياء، غائبين عن الصحوة الكبرى.

وأهم مثال أضربه لما أريد أن أقرره " قضية التوحيد " فإن قضية التوحيد هي كعبة هذا الدين التي بها قيامه وبدونها انهدامه، ولذلك العلماء من فقهاء ومحدثين وعباد ومن متصوفة؛ كلهم يطوفون حول هذه الكعبة ويردون حوض التوحيد.

من عبارات أهل التصوف التي يتكلمون بها وهي في ظاهرها مشكلة، ولكن فسرها شيخ الإسلام ابن تيمية بوجه صحيح كلمة " الفناء". يتحدث الشيخ عبد القادر الجيلاني عن الفناء، ويتحدث أبو إسماعيل الهروي عن الفناء.

فيقول الشيخ عبد القادر ــرحمه الله ــ : " افن عن الخلق بحكم الله، وعن هواك بأمره وعن إرادتك بفعله ــسبحانه وتعالى ــ، فإن فعلت فأنت أهل لأن تكون وعاء لعلم الله ". هذه من عبارات الشيخ عبدالقادر الجيلاني ــرحمه الله ــ لو تأملناها على الوجه الصحيح نجدها عين التوحيد.

لا فرق بين أئمة التصوف الصحيح وبين غيرهم من الأئمة والعلماء في قضية التوحيد، يقول : " وعلامة فنائك عن خلقه بحكمه أن تقطع أملك منهم وتعتزلهم وتيأس مما في أيديهم " ـ يعني تعلقك بالخالق وتقطع علائقك بالمخلوق، أي لا تنافس المخلوقين في الدنيا ولا تصارعهم في التكالب عليها؛ لأنك مشغول بالخالق عن المخلوق . لكن يقول : " افن بحكمه " وكما شرح هناك الحكم ما هو قال : " المصباح الذي هو الحكم وهو كتاب الله وسنة رسوله ــصلى الله عليه وسلم ــ "...

ادعوا أهل التصوف الصحيح من علماء وحكماء أن يبادروا بإصلاح التصوف إن أرادوا أن يلحقوا بركب الصحوة المباركة، صحوة أهل السنة والجماعة، وكما يقول الفقهاء في محترزات التعريف أقول : **صحوة أهل السنة والجماعة، هذه الدائرة الكبرى لا يبقى خارجاً منها إلا الروافض)** اه

المسألة الثانية

شطحات الصوفية

قد يصدر من بعض أهل التصوف الحق بعض الكلمات التي ظاهرها المخالفة لظاهر الشريعة لكنها تحتمل معنى آخر حسنا يمكن حملها عليه فهل نحكم عليهم بالمخالفة للشرع أخذا بالظاهر أم نحمل كلامهم على الاحتمال الحسن ؟ لننظر ماذا يقول الإمام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم وغيرهم من أهل العلم في ذلك :

قول الإمام ابن تيمية في الشطحات

في مجموع الفتاوى ٣٧٤/٢: (**وهؤلاء قد يجدون من كلام بعض المشايخ كلمات مشتبهة مجملة فيحملونها على المعاني الفاسدة** كما فعلت النصارى فيما نقل لهم عن الأنبياء فيدعون المحكم ويتبعون المتشابهة

فقول القائل إن الرب والعبد شيء واحد ليس بينهما فرق كفر صريح لاسيما إذا دخل في ذلك كل عبد مخلوق، **وأما إذا أراد بذلك عباد الله المؤمنين وأولياءه المتقين** فهؤلاء يحبهم ويحبونه ويوافقونه فيما يحبه ويرضاه ويأمر به فقد رضى الله عنهم ورضوا عنه **ولما رضوا ما يرضى وسخطوا ما يسخط كان الحق يرضى لرضاهم ويغضب لغضبهم إذ ذلك متلازم من الطرفين**)اه

ثم قال كما في مجموع الفتاوى ٣٨١/٢ وما بعدها: (فصل: **فيما عليه أهل العلم والإيمان من الأولين والآخرين مما يشبه الاتحاد والحلول الباطل وهو حق وان سمى حلولا أو اتحادا** وهو ما عليه أهل الإسلام وأهل السنة والجماعة وأهل المعرفة واليقين من جميع الطوائف بدلالة الكتاب والسنة...

وهو أن المؤمن لا بد أن يقوم بقلبه من معرفة الله والمحبة له ما يوجب أن يكون للمعروف المحبوب في قلبه من الآثار **ما يشبه الحلول من بعض الوجوه لا أنه حلول ذات المعروف المحبوب لكن هو الإيمان به ومعرفة أسمائه وصفاته** ...

وفى حديث مأثور ما وسعني أرضى ولا سمائي ووسعني قلب عبدي المؤمن النقي التقى الوداع اللين **ويقال القلب بيت الرب** وهذا هو نصيب العباد من ربهم وحظهم من الإيمان به كما

جاء عن بعض السلف أنه قال إذا أحب أحدكم أن يعلم كيف منزلته عند الله فلينظر كيف منزلة الله من قلبه فإن الله ينزل العبد من نفسه حيث أنزله العبد من قلبه وروى مرفوعا من حديث أيوب بن عبد الله بن خالد بن صفوان عن جابر بن عبد الله رواه أبو يعلى الموصلي وابن أبي الدنيا في كتاب الذكر ...

وفي كتاب الزهد للإمام أحمد قال موسى يا رب أين أجدك؟ قال يا موسى عند المنكسرة قلوبهم من أجلي أقترب إليها كل يوم شبرا ولولا ذلك لاحترقت قلوبهم

وقد يتوسع في العبارة عن هذا المعنى حتى يقال ما في قلبي إلا الله ما عندي إلا الله، كما قال النبي في الحديث الصحيح عن الله عز وجل أما علمت أن عبدي فلانا مرض **فلو عدته لوجدتني عنده**

ويقال : ساكن في القلب يعمره لست أنساه فأذكره

ويقال : مثالك في عيني وذكراك في فمي ومثواك في قلبي فأين تغيب

وهذا القدر يقوى قوة عظيمة حتى يعبر عنه بالتجلي والكشف ونحو ذلك باتفاق العقلاء ويحصل معه القرب منه كما قال النبي أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد وقال الله تعالى في الحديث القدسي من تقرب إلى شبرا تقربت إليه ذراعا ...

فالعبد المؤمن إذا أناب إلى ربه وعبده ووافقه حتى صار يحب ما يحب ربه ويكره ما يكره ربه ويأمر بما يأمر به ربه وينهى عما ينهى عنه ربه ويرضى بما يرضى ربه ويغضب لما يغضب له ربه ويعطى من أعطاه ربه ويمنع من منع ربه فهو العبد الذي قال فيه النبي فيما رواه أبو داود من حديث القاسم عن أبي أمامة من أحب لله وأبغض لله وأعطى لله ومنع لله فقد استكمل الإيمان وصار هذا العبد دينه كله لله وأتى بما خلق له من العبادة، **فقد اتحدت أحكام هذه الصفات التي له وأسبابها بأحكام صفات الرب وأسبابها**

وهم في ذلك على درجات فان كان نبيا كان له من الموافقة لله ما ليس لغيره والمرسلون فوق ذلك وأولو العزم أعظم ونبينا محمد له الوسيلة العظمى في كل مقام

فهذه الموافقة هي الاتحاد السائغ سواء كان واجبا أو مستحبا وفى مثل هذا جاءت نصوص الكتاب والسنة قال الله تعالى (إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم) وقال (والله ورسوله أحق أن يرضوه) وقال تعالى (من يطع الرسول فقد أطاع الله)

وقال تعالى (إن الذين يؤذون الله ورسوله) وقال تعالى (أحب إليكم من الله ورسوله) وقال تعالى (قل الأنفال لله والرسول

ومن هذا الباب قول المسيح -إن ثبت هذا اللفظ عنه-: **أنا وأبى واحد من رآني فقد رأى أبى**، ونحو ذلك فانه مثل قوله تعالى إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله) وقوله (من يطع الرسول فقد أطاع الله) ونحو ذلك من اللفظ الذي فيه تشابه...

وجاء في أولياء الله الذين هم المتقون نوع من هذا فروى البخاري في صحيحه عن أبي هريرة عن النبي (يقول الله تعالى من عادى لي وليا ... الحديث) **فهذان المعنيان صحيحان ثابتان بل هما حقيقة الدين واليقين والإيمان**

- **أما الأول وهو كون الله في قلبه بالمعرفة والمحبة**، فهذا فرض على كل أحد ولابد لكل مؤمن منه فان أدى واجبه فهو مقتصد وإن ترك بعض واجبه فهو ظالم لنفسه وان تركه كله فهو كافر بربه
- **وأما الثاني وهو موافقة ربه فيما يحبه ويكرهه ويرضاه ويسخطه** فهذا على الإطلاق إنما هو للسابقين المقربين الذين تقربوا إلى الله بالنوافل التي يحبها ولم يفرضها بعد الفرائض التي يحبها ويفرضها ويعذب تاركها ...

وقد يقع بعض من غلب عليه الحال في نوع من الحلول أو الاتحاد فان الاتحاد فيه حق وباطل لكن لما ورد عليه ما غيب عقله أو أفناه عما سوى محبوبه ولم يكن ذلك بذنب منه كان معذورا غير معاقب عليه ما دام غير عاقل ...

فهذه الحال تعتري كثيرا من أهل المحبة والإرادة في جانب الحق وفى غير جانبه وان كان فيها نقص وخطأ فإنه يغيب بمحبوبه عن حبه وعن نفسه وبمذكوره عن ذكره وبمعروفه عن عرفانه وبمشهوده عن شهوده وبموجوده عن وجوده فلا يشعر حينئذ بالتمييز ولا بوجوده

فقد يقول في هذه الحال أنا الحق أو سبحاني أو ما في الجبة إلا الله ونحو ذلك وهو سكران بوجد المحبة الذي هو لذة وسرور بلا تمييز وذلك السكران يطوى ولا يروى إذا لم يكن سكره بسبب محظور فأما إذا كان السبب محظورا لم يكن السكران معذورا

وأما أهل الحلول فمنهم من يغلب عليه شهود القلب وتجليه حتى يتوهم أنه رأى الله بعيني رأسه ولهذا ذكر ذلك طائفة من العباد الأصحاء غلطا منهم ...

فهو رب العالمين والعالمون ممتلؤن بما فيهم من آثار أسمائه وصفاته وكل شيء يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم من الناس من يدرك ما فيها من الدلالة والشهادة بالعلم والمعرفة **ومن خرق الله سمعه سَمِع تأويب الجبال والطير وعلم منطق الطير، فإذا فسر ظهوره وتجليه بهذا المعنى فهذا صحيح** ولكن لفظ لظهور والتجلي فيه إجمال كما سنبينه

وإذا قال القائل ما رأيت شيئا إلا ورأيت الله قبله لأنه ربه والرب متقدم على العبد أو رأيت الله بعده لأنه آيته ودليله وشاهده والعلم بالمدلول بعد الدليل أو رأيت الله فيه بمعنى ظهور آثار الصانع فى صنعته فهذا صحيح بل القرآن كله يبين هذا ويدل عليه وهو دين المرسلين وسبيل الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وهو اعتقاد المسلمين أهل السنة والجماعة ومن يدخل فيهم من أهل العلم والإيمان ذوى المعرفة واليقين أولياء الله المتقين

فصل: في الغلط في ذلك : ثم إن كثيرا من أهل التوجه إلى الله إذا أقبلوا على ذكره وعبادته والإنابة إليه شهدوا بقلوبهم هذه الربوبية الجامعة وهذه الإحاطة العامة ...

فقد يشهد العبد القدر المشترك بين المصنوعات وهو الحق الموجود فيها الذي هو شامل لها فيظن أنه الخالق لمطابقته له في نوع من العموم وإنما هو صنعه وخلقه ثم قد يرتقى إلى حجاب من حجبه النورية أو النارية فيظن أنه هو ثم يرتقى إلى نوره وما يظهر من أثر صفاته فقد يقع بعض هؤلاء في نحو من مذهب أهل الاتحاد المطلق العام فان تداركهم الله برحمته فاعتصموا بحبل الله واتبعوا هدى الله علموا أن هذا كله مخلوق لله وأن الخالق ليس هو المخلوق وأن جميعهم عباد لله **وربما قد يقع هذا في نوع من الفناء أو السكر فيكون مخطئا غالطا وأن كان ذلك مغفورا له** إذا كان بسبب غير محظور كما ذكرنا نظيره في الاتحاد المعين...

فهذه المعاني التي فيها تأله الكائنات إياه وتعلقها به والمعاني الأول التي فيها ربوبيته إياهم وخلقه لهم يوجب أن يعلم أنه رب الناس ملك الناس إله الناس وأنه رب العالمين لا اله إلا هو **والكائنات ليس لها من نفسها شيء بل هي عدم محض ونفى صرف وما بها من وجود فمنه وبه**) اه

وقال كما في مجموع فتاويه ١١/ ٧٤ : (ليس أحد من أهل المعرفة بالله، يعتقد حلول الرب تعالى به أو بغيره من المخلوقات، ولا اتحاده به، **وإن سُمع شيء من ذلك منقول عن بعض أكابر الشيوخ فكثير منه مكذوب، اختلقه الأفاكون من الاتحادية المباحية**، الذين أضلهم الشيطان وألحقهم بالطائفة النصرانية) اه

قول الإمام ابن القيم

قال ابن القيم في مدارج السالكين ٣/ ٣٣٠ : (**اعلم أن في لسان القوم من الاستعارات ، وإطلاق العام وإرادة الخاص، وإطلاق اللفظ وإرادة إشارته دون حقيقة معناه** : ما ليس في لسان أحد من الطوائف غيرهم ولهذا يقولون : نحن أصحاب إشارة لا أصحاب عبارة والإشارة لنا والعبارة لغيرنا .

وقد يطلقون العبارة التي يطلقها الملحد، ويريدون بها معنى لا فساد فيه وصار هذا سببا لفتنة طائفتين : **طائفة تعلقوا عليهم بظاهر عباراتهم فبدعوهم وضللوهم** وطائفة نظروا إلى مقاصدهم ومغزاهم فصوبوا تلك العبارات وصححوا تلك الإشارات . **فطالب الحق يقبله ممن كان** ويرد ما خالفه على من كان)اه

وفي المدارج أيضا : ٣/٩٧ : (قوله (وذوق المسامرة طعم العيان): مرادهم بالمسامرة : **مناجاة القلب ربه ، وإن سكت اللسان ، فلذة استيلاء ذكره تعالى** ، ومحبته على قلب العبد ، وحضوره بين يديه ، وأنسه به ، وقربه منه ، حتى يصير كأنه يخاطبه ويسامره ، ويعتذر إليه تارة ، ويتملقه تارة ، ويثني عليه تارة ، حتى يبقى القلب ناطقا بقوله أنت الله الذي لا إله إلا أنت من غير تكلف له بذلك بل يبقى هذا حالا له ومقاما .

ولا ينكر وصول القوم إلى هذا فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه فإذا بلغ في مقام الإحسان بحيث يكون كأنه يرى الله سبحانه . فهكذا مخاطبته ومناجاته له) اه

وفيه أيضا : ٣/١٥٠ : (فصل الاتصال بالرب والوصول إليه وضلال أهل الوحدة : **ومراد القوم بالاتصال والوصول : اتصال العبد بربه ، ووصوله إليه لا بمعنى اتصال ذات العبد**

بذات الرب ، كما تتصل الذاتان إحداهما بالأخرى ولا بمعنى انضمام إحدى الذاتين إلى الأخرى والتصاقها بها

وإنما مرادهم بالاتصال والوصول : إزالة النفس والخلق من طريق السير إلى الله ولا تتوهم سوى ذلك فإنه عين المحال .

فإن السالك لا يزال سائرا إلى الله تعالى حتى يموت فلا ينقطع سيره إلا بالموت فليس في هذه الحياة وصول يفرغ معه السر وينتهي وليس ثم اتصال حسي بين ذات العبد وذات الرب فالأول : تعطيل وإلحاد . والثاني : حلول واتحاد .

وإنما حقيقة الأمر : تنحية النفس والخلق عن الطريق فإن الوقوف معهما : هو الانقطاع . وتنحيتهما هو الاتصال... **فإياك ثم إياك والألفاظ المجملة المشتبهة التي وقع اصطلاح القوم عليها فإنها أصل البلاء. وهي مورد الصديق والزنديق .**

فإذا سمع الضعيف المعرفة والعلم بالله تعالى لفظ اتصال وانفصال ، ومسامرة ، ومكالمة ، وأنه لا وجود في الحقيقة إلا وجود الله ، وأن وجود الكائنات خيال ووهم ، وهو بمنزلة وجود الظل القائم بغيره فاسمع منه ما يملأ الآذان من حلول واتحاد وشطحات .

والعارفون من القوم أطلقوا هذه الألفاظ ونحوها ، وأرادوا بها معاني صحيحة في أنفسها فغلط الغالطون في فهم ما أرادوه ونسبوهم إلى إلحادهم وكفرهم . واتخذوا كلماتهم المتشابهة ترسا له وجنة، حتى قال قائلهم :

ومنك بدا حب بعز تمازجا بنا ووصالا كنت أنت وصلته

ظهرت لمن أبقيت بعد فنائه وكان بلا كون لأنك كنته

فيسمع الغر التمازج والوصال فيظن أنه سبحانه نفس كون العبد فلا يشك أن هذا هو غاية التحقيق ، ونهاية الطريق) اه

وفي المدارج أيضا ١١٠/٣ : (ونور الكشف عندهم : هو مبدأ الشهود وهو نور تجلى معاني الأسماء الحسنى على القلب فتضيء به ظلمة القلب ويرتفع به حجاب الكشف .

ولا تلتفت إلى غير هذا ، فتزل قدم بعد ثبوتها فإنك تجد في كلام بعضهم تجلي الذات يقتضي كذا وكذا ، وتجلي الصفات يقتضي كذا وكذا ، وتجلي الأفعال يقتضي كذا وكذا ، **والقوم عنايتهم بالألفاظ فيتوهم المتوهم : أنهم يريدون تجلي حقيقة الذات والصفات**

والأفعال للعيان ، فيقع من يقع منهم في الشطحات والطامات . والصادقون العارفون برآء من ذلك .

وإنما يشيرون إلى كمال المعرفة ، وارتفاع حجب الغفلة والشك والإعراض ، واستيلاء سلطان المعرفة على القلب بمحو شهود السوى بالكلية فلا يشهد القلب سوى معروفه .

وينظرون هذا بطلوع الشمس فإنها إذا طلعت انطمس نور الكواكب ولم تعدم الكواكب وإنما غطى عليها نور الشمس فلم يظهر لها وجود وهي في الواقع موجودة في أماكنها وهكذا نور المعرفة إذا استولى على القلب ، قوي سلطانها ، وزالت الموانع والحجب عن القلب ، **ولا ينكر هذا إلا من ليس من أهله**) ا هـ

وفي مدارج السالكين ٣٥/٢ : (والله يشكر لشيخ الإسلام [الهروي] سعيه ، ويعلي درجته ويجزيه أفضل جزائه . ويجمع بيننا وبينه في محل كرامته فلو وجد مريده سعة وفسحة في ترك الاعتراض عليه واعتراض كلامه لما فعل كيف وقد نفعه الله بكلامه ؟ وجلس بين يديه مجلس التلميذ من أستاذه **وهو أحد من كان على يديه فتحه يقظة ومناما ؟**

وهذا غاية جهد المقل في هذا الموضع فمن كان عنده فضل علم فليجد به ، أو فليعذر . ولا يبادر إلى الإنكار فكم بين الهدهد ونبي الله سليمان ؟ وهو يقول له : أحطت بما لم تحط به وليس شيخ الإسلام أعلم من نبي الله ولا المعترض عليه بأجهل من هدهد وبالله المستعان وهو أعلم) اه

وقال في مدارج السالكين :٣٥/٢ : (فيقال : **هذا ونحوه من الشطحات التي ترجى مغفرتها بكثرة الحسنات** ، ويستغرقها كمال الصدق ، وصحة المعاملة ، وقوة الإخلاص ، وتجريد التوحيد ، ولم تضمن العصمة لبشر بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم. وهذه الشطحات أوجبت فتنة على طائفتين من الناس :

إحداها : حجبت بها عن محاسن هذه الطائفة ، ولطف نفوسهم ، وصدق معاملتهم ، فأهدروها لأجل هذه الشطحات ، وأنكروها غاية الإنكار وأساءوا الظن بهم مطلقا **وهذا عدوان وإسراف فلو كان كل من أخطأ أو غلط ترك جملة ، وأهدرت محاسنه ، لفسدت العلوم والصناعات والحكم وتعطلت معالمها** .

والطائفة الثانية : حجبوا بما رأوه من محاسن القوم ، وصفاء قلوبهم ، وصحة عزائمهم ، وحسن معاملاتهم عن رؤية عيوب شطحاتهم ، ونقصانها فسحبوا عليها ذيل المحاسن . وأجروا عليها حكم القبول والانتصار لها واستظهروا بها في سلوكهم ،وهؤلاء أيضا معتدون مفرطون .
والطائفة الثالثة : – وهم أهل العدل والإنصاف – الذين أعطوا كل ذي حق حقه ، وأنزلوا كل ذي منزلة منزلته ، فلم يحكموا للصحيح بحكم السقيم المعلول ، ولا للمعلول السقيم بحكم الصحيح بل قبلوا ما يقبل وردوا ما يرد .) اه

قول الإمام ابن مفلح والإمام ابن عقيل الحنبليين

ثم وقفت على كلام في ذلك لتمليذ آخر من تلاميذ الإمام ابن تيمية وهو الإمام ابن مفلح حيث عقد لذلك فصلا في آدابه الشرعية فقال ١/٢٩٥ – ٢٩٦ : (فصل: قال ابن عقيل في الفنون: يخطر بقلوب العلماء نوع يقظة **فإذا نطقوا بها وبحكمها نفرت منها قلوب غيرهم ولو من العلماء ولا أقول العوام** ومثل بأشياء منها : قول أبي بكر رضي الله عنه لو كشف الغطاء ما ازددت يقينا
وأن رجلا لو صحا فقال كلمة ظاهرها يوجب عند العوام الكفر فقال : لست أجد للرقيب والعتيد حشمة ولا هيبة ، حتى لو استفتي عليه جماعة من الفقهاء لقالوا كافر فظاهر هذا أنه ليس مصدقا بهما وهو يهون بحفظة الله تعالى على خلقه وملائكته
فلو كان من المحققين **فكشف عن سر واقعه** لاستحيي من جهله أو كفره من العلماء فضلا عن العوام وكشف السر عن ذلك أنه قال : غلبت علي هيبة ربي وحشمة من يشهدني فسقط من عيني حشمة من يشهد علي وكنت أجد الحشمة لهما لغفلة عقبها صحو وموجب اليقظة والصحو وزوال الغفلة والسهو السمع (أولم يكف بربك...) (ونحن أقرب إليه منكم ...) والعقل فإن من شهد الحق كان كمن شهد الملك ومعه أصحاب أخيار فلا يبقى لأصحابه حكم في قلب من شهد الملك وإلا لكان وهنا في معرفته بحكم الملك وسلطانه
فاحذر من الإقدام على الطعن على العلماء مع عدم بلوغك إلى مقاماتهم واختلاف أحوالهم حتى إنهم في حال كشخص وفي حال آخر كشخص آخر

فإن للعبد عند كشف الحق محوا عن نفسه والعالم يتلاشى في عينه ولهذا قالت المتصوفة للصغار يسلم للمشايخ الكبار حالهم وكلامهم سم قاتل لهم أولا ثم لمن لا يفهم ما تحت كلامهم

والقاتل قد يكون معذورا والمقتول شهيدا أما المنكر فإنه جار على الظاهر وأما القائل فقال بحكم حال كشفت له خاصة وحجب عنها السامع ومن هنا كلموا الناس على قدر عقولهم فمن علم أن الخلق لا يستوون في المقال ولا في الأحوال لا يعقد الظنون ببادرة الواقع فيقع ناقصا) اه

المسألة الثالثة

الفناء الصوفي

يتردد كثيرا في كلام وكتب أهل التصوف كلمة الفناء في الله فيظن الظان أنهم يقصدون بذلك الحلول والاتحاد لكن للقوم مقصود آخر فلنتابع الإمام ابن تيمية وهو يبين لنا هذا المقصود

قول الإمام ابن تيمية في ذلك

قال رحمه الله كما في مجموع الفتاوي ١٠/٣٣٧ : (فصل: **الفناء الذي يوجد في كلام الصوفية** يفسر بثلاثة أمور :

أحدها: فناء القلب عن إرادة ما سوى الرب والتوكل عليه وعبادته وما يتبع ذلك فهذا حق صحيح وهو محض التوحيد والإخلاص وهو في الحقيقة عبادة القلب وتوكله واستعانته وتألهه وإنابته وتوجهه إلى الله وحده لا شريك له وما يتبع ذلك من المعارف والأحوال وليس لأحد خروج عن هذا، وهذا هو القلب السليم الذي قال الله فيه (إلا من أتى الله بقلب سليم) وهو سلامة القلب عن الاعتقادات الفاسدة وما يتبع ذلك

وهذا الفناء لا ينافيه البقاء بل يجتمع هو والبقاء فيكون العبد فانيا عن إرادة ما سواه وإن كان شاعرا بالله وبالسوى وترجمته قول لا اله إلا الله وكان النبي صلى الله عليه وسلم يقول لا اله إلا الله ولا نعبد إلا إياه له النعمة وله الفضل وله الثناء الحسن وهذا في الجملة هو أول الدين وآخره

الأمر الثاني : فناء القلب عن شهود ما سوى الرب فذاك فناء عن الإرادة وهذا فناء عن الشهادة ذاك فناء عن عبادة الغير والتوكل عليه وهذا فناء عن العلم بالغير والنظر إليه فهذا الفناء فيه نقص فان شهود الحقائق على ما هي عليه وهو شهود الرب مدبرا لعباده آمرا بشرائعه اكمل من شهود وجوده أو صفة من صفاته أو اسم من أسمائه والفناء بذلك عن شهود ما سوى ذلك

ولهذا كان الصحابة أكمل شهودا من أن ينقصهم شهود للحق مجملا عن شهوده مفصلا ولكن عرض كثير من هذا لكثير من المتأخرين من هذه الأمة كما عرض لهم عند تجلى بعض الحقائق الموت والغشي والصياح والاضطراب وذلك لضعف القلب عن شهود الحقائق على ما هي عليه وعن شهود التفرقة في الجمع والكثرة في الوحدة حتى اختلفوا في إمكان ذلك

وكثير منهم يرى أنه لا يمكن سوى ذلك لما رأى أنه إذا ذكر الخلق أو الأمر اشتغل عن الخالق الأمر وإذا عورض بالنبي وخلفائه ادعى الاختصاص أو اعرض عن الجواب أو تحير في الأمر

وسبب ذلك انه قاس جميع الخلق على ما وجده من نفسه ولهذا يقول بعض هؤلاء انه لا يمكن حين تجلي الحق سماع كلامه ...

وفي هذا الفناء قد يقول أنا الحق أو سبحاني أو ما في الجبة إلا الله إذا فني بمشهوده عن شهوده وبموجوده عن وجوده وبمذكوره عن ذكره وبمعروفه عن عرفانه

كما يحكون أن رجلا كان مستغرقا في محبة آخر فوقع المحبوب في اليم فألقى الآخر نفسه خلفه فقال ما الذي أوقعك خلفي فقال : غبت بك عني فظننت انك أني

وفي مثل هذا المقام يقع السكر الذي يسقط التمييز مع وجود حلاوة الإيمان كما يحصل بسكر الخمر وسكر عشيق الصور وكذلك قد يحصل الفناء بحال خوف أو رجاء كما يحصل بحال حب فيغيب القلب عن شهود بعض الحقائق ويصدر منه [قول] أو عمل من جنس أمور السكارى **وهي شطحات بعض المشايخ**

كقول بعضهم انصب خيمتي على جهنم ونحو ذلك من الأقوال والأعمال المخالفة للشرع وقد يكون صاحبها غير مأثوم ... **ويحكم على هؤلاء إن أحدهم إذا زال عقله بسبب غير محرم فلا جناح عليهم فيما يصدر عنهم من الأقوال والأفعال المحرمة** بخلاف ما إذا كان سبب زوال العقل والغلبة أمرا محرما ، وهذا كما قلنا في عقلاء المجانين والمولهين الذين صار ذلك لهم مقاما دائما

كما انه يعرض لهؤلاء في بعض الأوقات كما قال بعض العلماء ذلك في من زال عقله حتى ترك شيئا من الواجبات إن كان زواله بسبب غير محرم مثل الإغماء بالمرض أو أسقي مكرها شيئا يزيل عقله فلا إثم عليه وان زال بشرب الخمر ونحو ذلك من الأحوال المحرمة أثم بترك الواجب كذلك الأمر في فعل المحرم

وكما انه لا جناح عليهم فلا يجوز الاقتداء بهم ولا حمل كلامهم وفعالهم على الصحة بل هم في الخاصة مثل الغافل والمجنون في التكاليف الظاهرة، وقال فيهم بعض العلماء : هؤلاء أعطاهم الله عقولا وأحوالا فسلب عقولهم وترك أحوالهم واسقط ما فرض بما سلب

ولهذا اتفق العارفون على أن حال البقاء افضل من ذلك وهو شهود الحقائق بإشهاد الحق كما قال الله تعالى فيما روى عنه رسوله (ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها ولئن سألني لأعطينه ولئن استعاذني لأعيذنه فبي يسمع وبي يبصر وبي يبطش وبي يمشي)

وفي رواية (وبي ينطق وبي يعقل) فإذا سمع بالحق ورأى به سمع الأمر على ما هو عليه وشهد الحق على ما هو عليه

وعامة ما تجد في كتب أصحاء الصوفية مثل شيخ الإسلام ومن قبله من الفناء هو هذا مع انه قد يغلط بعضهم في بعض أحكامه كما تكلمت عليه في غير هذا الموضع

وفى الجملة فهذا الفناء صحيح وهو في عيسوية المحمدية وهو شبيه بالصعق والصياح الذي حدث في التابعين ولهذا يقع كثير من هؤلاء في نوع ضلال لأن الفناء عن شهود الحقائق مرجعه إلى عدم العلم والشهود وهو وصف نقص لا وصف كمال وإنما يمدح من جهة عدم إرادة ما سواه لأن ذكر المخلوق قد يدعو إلى إرادته والفتنة به ...

الثالث : فناء عن وجود السوى بمعنى انه يرى أن الله هو الوجود وانه لا وجود لسواه لا به ولا بغيره وهذا القول والحال للاتحادية الزنادقة من المتأخرين كالبلياني والتلمساني والقونوني ونحوهم الذين يجعلون الحقيقة أنه عين الموجودات وحقيقة الكائنات وانه ا وجود لغيره لا بمعنى ان قيام الاشياء به ووجودها به كما قال النبى اصدق كلمة قالها الشاعر كلمة لبيد : الا كل شيء ما خلا الله باطل

وكما قيل فى قوله كل شيء هالك الا وجهه **فانهم لو ارادوا ذلك لكان ذلك هو الشهود الصحيح** لكنه يريدون انه هو عين الموجودات فهذا كفر وضلال ربما تمسك اصحابه بالفاظ متشابهة توجد فى كلام بعض المشايخ كما تمسك النصارى بألفاظ متشابهة تروى عن المسيح ويرجعون الى وجد فاسد او قياس فاسد فتدبر هذا التقسيم فانه بيان الصراط المستقيم) اه

ونحوه في ٣٦٩/٢ من مجموع الفتاوى

قول الإمام ابن القيم في ذلك

وبنحوه قال تلميذه ابن القيم في مدارج السالكين ١٥٣/١ ومما قاله : (وأما الفناء عن شهود السوى : فهو الفناء الذي يشير إليه أكثر الصوفية المتأخرين ويعدونه غاية وهو الذي بنى عليه أبو إسماعيل الأنصاري كتابه وجعله الدرجة الثالثة في كل باب من أبوابه .

وليس مرادهم فناء وجود ما سوى الله في الخارج ، بل فناؤه عن شهودهم وحسهم . فحقيقته : غيبة أحدهم عن سوى مشهوده بل غيبته أيضا عن شهوده ونفسه لأنه يغيب بمعبوده عن عبادته ، وبمذكوره عن ذكره ، وبموجوده عن وجوده ، وبمحبوبه عن حبه ، وبمشهوده عن شهوده .

وقد يسمى حال مثل هذا سكرا ، واصطلاما ، ومحوا ، وجمعا وقد يفرقون بين معاني هذه الأسماء وقد يغلب شهود القلب بمحبوبه ومذكوره حتى يغيب به ويفنى به فيظن أنه اتحد به وامتزج ، بل يظن أنه هو نفسه كما يحكى أن رجلا ألقى محبوبه نفسه في الماء فألقى المحب نفسه وراءه فقال له : ما الذي أوقعك في الماء ؟ فقال : غبت بك عني فظننت أنك أني .

وهذا إذا عاد إليه عقله يعلم أنه كان غالطا في ذلك وأن الحقائق متميزة في ذاتها فالرب رب والعبد عبد والخالق بائن عن المخلوقات ليس في مخلوقاته شيء من ذاته ، ولا في ذاته شيء من مخلوقاته ولكن في حال السكر والمحو والاصطلام والفناء قد يغيب عن هذا التمييز

وفي هذه الحال قد يقول صاحبها ما يحكى عن أبي يزيد أنه قال سبحاني أو ما في الجبة إلا الله ونحو ذلك من الكلمات التي لو صدرت عن قائلها وعقله معه لكان كافرا .ولكن مع سقوط التمييز والشعور ، قد يرتفع عنه قلم المؤاخذة .

وهذا الفناء يحمد منه شيء ويذم منه شيء ويعفى منه عن شيء . فيحمد منه : فناؤه عن حب ما سوى الله ، وعن خوفه ، ورجائه ، والتوكل عليه ، والاستعانة به ، والالتفات إليه ، بحيث يبقى دين العبد ظاهرا وباطنا كله لله .

وأما عدم الشعور والعلم ، بحيث لا يفرق صاحبه بين نفسه وغيره ، ولا بين الرب والعبد – مع اعتقاده الفرق – ولا بين شهوده ومشهوده ، بل لا يرى السوى ولا الغير فهذا ليس بمحمود ، ولا هو وصف كمال ، ولا هو مما يرغب فيه ويؤمر به بل غاية صاحبه أن يكون معذورا لعجزه

، وضعف قلبه وعقله عن احتمال التمييز والفرقان ، وإنزال كل ذي منزلة منزلته ، موافقة لداعي العلم ، ومقتضى الحكمة ...) اه

المسألة الرابعة

كرامات الأولياء

من أصول أهل السنة التي خالفوا بها أهل البدع أنهم يؤمنون ويصدقون بكرامات الأولياء رضوان الله عليهم، قال الإمام ابن تيمية في العقيدة الواسطية وهو في مجموع الفتاوى ١٥٦/٣:

(ومن أصول أهل السنة : **التصديق بكرامات الأولياء وما يجري الله على أيديهم من خوارق العادات في أنواع العلوم والمكاشفات ، وأنواع القدرة والتأثيرات** كالمأثور عن سالف الأمم في سورة الكهف وغيرها وعن صدر هذه الأمة من الصحابة والتابعين وسائر قرون الأمة **وهى موجودة فيها إلى يوم القيامة) اه**

وقال الشوكاني في رسالته في كرامات الأولياء كما في الفتح الرباني ٢/ : (**اعلم أن ما يحدث من أولياء الله سبحانه من الكرامات الظاهرة التي لا شك فيها ولا شبهة هو حق صحيح لا يمتري فيه من له أدنى معرفة بأحوال صالحي عباد الله** المخصوصين منه بالكرامات التي أكرمهم وتفضل بها عليهم

ومن شك في شيء من ذلك نظر في كتب الثقات المدونة في هذا الشأن **كحلية الأولياء لأبي نعيم والرسالة للقشيري وصفة الصفوة لابن الجوزي وطبقات الأولياء للشرجي وكتاب روض الرياحين في حكايات الصالحين لليافعي** وسائر الكتب المصنفة في تاريخ العالم فإن كلها مشتملة على تراجم كثير منهم ، ويغني عن ذلك كله ما قصه الله عز وجل في كتابه العزيز عن صالحي عباده الذين لم يكونوا أنبياء ...)اه ثم ذكر كرامات : (ذي القرنين – ومريم – وأصحاب الكهف – وآصف –) ثم قال : والجميع ليسوا بأنبياء ، وثبت في الأحاديث الصحيحة الثابتة في الصحيح ...)اه

ثم ذكر كرامات : (الثلاثة الذين انطبقت عليهم الصخرة - وجريج الراهب –الرضيع الذي تكلم في حجر أمه – وصاحب البقرة التي تكلمت – وخبيب بن عدي – وأسيد بن حضير وعباد بن بشر)

ثم قال : وحديث : لقد كان فيمن قبلكم محدثون وحديث : إن في هذه الأمة محدثون وإن منهم عمر ، ومن ذلك كون سعد بن أبي وقاص كان مجاب الدعوة وهذه الأحاديث كلها ثابتة في الصحيح وورد لكثير من الصحابة رضوان الله عليهم كرامات ...) اه

والآن لنأخذ مثالين على كرامات الأولياء :

مريد يحكي بعض كرامات شيخه :

قال ذلك المريد عن شيخه : (ولقد شاهدت من فراسته رحمه الله أمورا عجيبة وما لم أشاهده منها أعظم وأعظم ووقائع فراسته تستدعي سفرا ضخما

- أخبر الشيخُ أصحابَه بدخول الكفار الشام سنة ... وأن جيوش المسلمين تكسر ، وأن دمشق لا يكون بها قتل عام ولا سبي عام ، وأن كَلَبَ الجيش وحدته في الأموال وهذا قبل أن يهم الكفار بالحركة .
- ثم أخبر الناس والأمراء سنة ... لما تحرك الكفار وقصدوا الشام : أن الدائرة والهزيمة عليهم وأن الظفر والنصر للمسلمين وأقسم على ذلك أكثر من سبعين يمينا ...
- وسمعته يقول ذلك قال : فلما أكثروا علي قلت : **لا تكثروا كتب الله تعالى في اللوح المحفوظ أنهم مهزومون في هذه الكرة وأن النصر لجيوش الإسلام...**
- وكانت فراسته الجزئية في خلال هاتين الواقعتين مثل المطر
- ولما طلب إلى الديار المصرية ، وأريد قتله بعدما أنضجت له القدور ، وقلبت له الأمور واجتمع أصحابه لوداعه وقالوا : قد تواترت الكتب بأن القوم عاملون على قتلك . فقال : **والله لا يصلون إلى ذلك أبدا** . قالوا : أفتحبس ؟ قال : **نعم ويطول حبسي ثم أخرج وأتكلم بالسنة على رءوس الناس سمعته يقول ذلك** .
- ولما تولى الملك عدوه ... أخبروه بذلك وقالوا : الآن بلغ مراده منك فسجد لله شكرا وأطال فقيل له : ما سبب هذه السجدة ؟ فقال : هذا بداية ذله ومفارقة عزه من الآن وقرب زوال أمره . فقيل : متى هذا ؟ فقال : لا تربط خيول الجند على القرط حتى تغلب دولته فوقع الأمر مثل ما أخبر به سمعت ذلك منه .
- وقال مرة : يدخل علي أصحابي وغيرهم فأرى في وجوههم وأعينهم أمورا لا أذكرها لهم .
فقلت له – أو غيري – لو أخبرتهم ؟ فقال : أتريدون أن أكون معرفا كمعرف الولاة ؟
- وقلت له يوما : لو عاملتنا بذلك لكان أدعى إلى الاستقامة والصلاح فقال : لا تصبرون معي على ذلك جمعة أو قال : شهرا .

- وأخبرني غير مرة بأمور باطنة تختص بي مما عزمت عليه ، ولم ينطق به لساني . وأخبرني ببعض حوادث كبار تجري في المستقبل ولم يعين أوقاتها وقد رأيت بعضها وأنا أنتظر بقيتها .
- وما شاهده كبار أصحابه من ذلك أضعاف أضعاف ما شاهدته) اه

وهذا مريد آخر يتحدث عن كرامات شيخه فيقول :

(الفصل التاسع : في ذكر بعض كراماته وفراسته :

- أخبرني غير واحد من الثقات ببعض ما شاهده من كراماته وأنا أذكر بعضها على سبيل الاختصار وأبدأ من ذلك ببعض ما شاهدته :
- فمنها أنه جرى بيني وبين بعض الفضلاء منازعة في عدة مسائل وطال كلامنا فيها وجعلنا نقطع الكلام في كل مسألة بأن نرجع إلى الشيخ وما يرجحه من القول فيها
- ثم أن الشيخ رضي الله عنه حضر فلما هممنا بسؤاله عن ذلك سبقنا هو وشرع يذكر لنا مسألة مسألة كما كنا فيه وجعل يذكر غالب ما أوردناه في كل مسألة ويذكر أقوال العلماء ثم يرجح منها ما يرجحه الدليل حتى أتى على آخر ما أردنا أن نسأله عنه وبين لنا ما قصدنا أن نستعلمه منه فبقيت أنا وصاحبي ومن حضرنا أولا مبهوتين متعجبين مما كاشفنا به وأظهره الله عليه مما كان في خواطرنا وكنت في خلال الأيام التي صحبته فيها إذا بحث مسألة يحضر لي إيراد ، فما يستتم خاطري به حتى يشرع فيورده ويذكر الجواب من عدة وجوه
- وحدثني الشيخ الصالح المقرئ أحمد بن الحريمي أنه سافر إلى دمشق قال فاتفق أني لما قدمتها لم يكن معي شئ من النفقة البتة وأنا لا اعرف أحدا من أهلها ، فجعلت أمشي في زقاق منها كالحائر فإذا بشيخ قد أقبل نحوي مسرعا فسلم وهش في وجهي ووضع في يدي صرة فيها دراهم صالحة وقال لي : انفق هذه الآن وخلي خاطرك مما أنت فيه فإن الله لا يضيعك ثم رد على أثره ، كأنه ما جاء إلا من أجلي ، فدعوت له وفرحت بذلك وقلت لبعض من رأيته من الناس من هذا الشيخ ؟ فقال: وكأنك لا تعرفه هذا فلان ، لي مدة طويلة لم أره اجتاز بهذا الدرب وكان جل قصدي من سفري إلى دمشق لقاءه فتحققت أن الله أظهره علي وعلى حالي فما احتجت بعدها إلى أحد مدة إقامتي بدمشق بل فتح الله علي من حيث لا احتسب

واستدللت فيما بعد عليه وقصدت زيارته والسلام عليه فكان يكرمني ويسألني عن حالي فأحمد الله تعالى إليه .

- وحدثني الشيخ العالم المقرئ تقي الدين عبد الله ابن الشيخ الصالح المقرئ احمد بن سعيد قال : سافرت إلى مصر حين كان الشيخ مقيما بها فاتفق أني قدمتها ليلا وأنا مثقل مريض فأنزلت في بعض الأمكنة فلم ألبث أن سمعت من ينادي باسمي وكنيتي فأجبته وأنا ضعيف فدخل إلي جماعة من أصحاب الشيخ ممن كنت قد اجتمعت ببعضهم في دمشق فقلت : كيف عرفتم بقدومي وأنا قدمت هذه الساعة ؟ فذكروا أن الشيخ أخبرنا بأنك قدمت وأنت مريض وأمرنا أن نسرع بنقلك وما رأينا أحدا جاء ولا أخبرنا بشيء ، فعلمت أن ذلك من كرامات الشيخ رضي الله عنه .
- وحدثني أيضا قال : مرضت بدمشق إذ كنت فيها مرضة شديدة منعتني حتى من الجلوس، فلم اشعر إلا والشيخ عند رأسي وأنا مثقل مشتد بالحمى والمرض فدعا لي وقال : جاءت العافية فما هو إلا أن فارقني وجاءت العافية وشفيت من وقتي ...
- وحدثني أيضا قال : أخبرني الشيخ ابن عماد الدين المقرئ المطرز قال : قدمت على الشيخ ومعي حينئذ نفقة فسلمت عليه فرد علي ورحب بي وأدناني ولم يسألني هل معك نفقة أم لا ، فلما كان بعد أيام ونفدت نفقتي أردت أن اخرج من مجلسه بعد أن صليت مع الناس وراءه فمنعني وأجلسني دونهم فلما خلا المجلس دفع إلي جملة دراهم وقال : أنت الآن بغير نفقة فارتفق بهذه ، فعجبت من ذلك ، وعلمت أن الله كشفه على حالي أوّلا لما كان معي نفقة وآخراً لما نفدت واحتجت إلى نفقة .
- وحدثني من لا أتهمه : إن الشيخ رضي الله عنه حين نزل الكفار بالشام لأخذ دمشق وغيرها رجف أهلها وخافوا خوفا شديدا ، وجاء إليه جماعة منهم وسألوه الدعاء للمسلمين فتوجه إلى الله ثم قال : أبشروا فإن الله يأتيكم بالنصر في اليوم الفلاني بعد ثالثة حتى ترون الرؤوس معبأة بعضها فوق بعض .
- قال الذي حدثني : فوالذي نفسي بيده أو كما حلف ما مضى إلا ثلاث مثل قوله حتى رأينا رؤوسهم كما قال الشيخ على ظاهر دمشق معبأة بعضها فوق بعض .

- وحدثني الشيخ الصالح الورع عثمان بن احمد بن عيسى النساج أن الشيخ رضي الله عنه كان يعود المرضى بالبيمارستان بدمشق في كل أسبوع ، فجاء على عادته فعادهم ، فوصل إلى شاب منهم فدعا له فشفي سريعا وجاء إلى الشيخ يقصد السلام عليه فلما رآه هش له وأدناه ثم دفع إليه نفقة وقال: قد شفاك الله فعاهد الله أن تعجل الرجوع إلى بلدك أيجوز أن تترك زوجتك وبناتك أربعا ضيعة وتقيم هاهنا ، فقبل يده وقال : يا سيدي أنا تائب إلى الله على يدك وقال الفتى : وعجبت مما كاشفني به وكنت قد تركتهم بلا نفقة ولم يكن قد عرف بحالي أحد من أهل دمشق .
- وحدثني من أثق به أن الشيخ رضي الله عنه أخبر عن بعض القضاة أنه قد مضى متوجها إلى مصر المحروسة ليقلد القضاء وأنه سمعه يقول : حال ما أصل إلى البلد قاضياً أحكم بقتل فلان رجل معين من فضلاء أهل العلم والدين قد أجمع الناس على علمه وزهده وورعه ، ولكن حصل في قلب القاضي منه من الشحناء والعداوة ما صوب له الحكم بقتله فعظم ذلك على من سمعه خوفا من وقوع ما عزم عليه من القتل لمثل هذا الرجل الصالح ، وحذرا على القاضي أن يوقعه الهوى والشيطان في ذلك فيلقى الله متلبسا بدم حرام وفتك بمسلم معصوم الدم بيقين، وكرهوا وقوع مثل ذلك لما فيه من عظيم المفاسد ، فأبلغ الشيخ رضي الله عنه هذا الخبر بصفته ، فقال : إن الله لا يمكنه مما قصد ولا يصل إلى مصر حياً ، فبقي بين القاضي وبين مصر قدر يسير وأدركه الموت فمات قبل وصولها كما أجرى الله تعالى على لسان الشيخ رضي الله عنه) اه

لا شك أنك عندما تقرأ كلام هذين المريدين عن شيخهما ستقول: ما هذه الخرافات ؟ !!

ومن هو هذا الشيخ الذي يدعي علم الغيب ؟ !!

فيخبر عما في اللوح المحفوظ !

ويخبر بما في الضمائر !

ويخبر بما سيكون في المستقبل !

ولا ينقضي عجبك من ذلك ...

لكن عجبك سيزول — وقد يزداد – عندما تعلم أن المريد الأول هو ابن القيم رحمه الله وهو يتحدث عن كرامات شيخه ابن تيمية رحمه الله وكلامه المنقول هو في مدارج السالكين ٤٨٢/٢ وما بعدها

أما المريد الثاني فهو عمر البزار رحمه الله وهو أيضا يتحدث عن كرامات شيخه ابن تيمية رحمه الله وكلامه المنقول هو في كتابه الأعلام العلية في مناقب ابن تيمية ص ٥٦ وما بعدها

فما كنا نظنه خرافات وترهات صار الآن – بعد معرفتنا بالمريد وشيخه – من الكرامات والحقائق وما كنا قد نكفر القائل به صار الآن مقبولا والسبب هو أن هذا المنقول عنه هو ابن تيمية والناقل هو ابن القيم والبزار

ما هذه المفارقات العجيبة؟ إننا نزن الناس بميزانين مختلفين تماما فلو كان قائل ذلك غير ابن القيم والمقول فيه غير ابن تيمية لكفرنا القائل والمقول فيه لأنهم بزعمنا يدعون الغيب !!!

إن حدود الكرامة واسعة حتى إنه كل ما جاز أن يكون معجزة لنبي جاز أن يكون كرامة لولي إلا أن المعجزة يصحبها تحد دون الكرامة بل ذكر بعض أهل العلم أنه قد يوجد في أولياء أمة محمد صلى الله عليه وسلم من يعطون من الكرامات ما يفوق بعض ما أعطي الأنبياء من المعجزات كما حصل للعلاء بن الحضرمي حيث مشى هو وجيشه على البحر وهذه تفوق معجزة موسى عليه السلام حيث مشى في قاع البحر اليابس أما العلاء وأصحابه فمشوا على سطح البحر

وهنا أمر مهم وهو أن الكرامة هي خرق لقانون العادة وليست خرقا لقانون العقل فلا يمكن أن تكون الكرامة مما يستحيل عقلا بل تكون مما يستحيل عادة، مثال خرق قانون العقل أن يحل نفس الشخص بكله في مكانين مختلفين في آن واحد ، ومثال خرق قانون العادة أن يقطع المسافة من اليمن إلى مكة في لحظة ، فالأخير ممكن على سبيل الكرامة أما الأول فلا

ومما يدلك على سعة حدود الكرامات ما قاله ابن تيمية كما في مجموع الفتاوى ٣٧٦/٤-٣٧٧ حيث قال : (وجاء تفسير ذلك في آثار إن من عباد الله يقول : من لو اقسم على الله أن يزيل جبلا أو الجبال عن أماكنها لأزالها وان لا يقيم القيامة لما أقامها وهذا مبالغة ، ولا يقال إن ذلك بفضل بقوة خلقت فيه وهذا بدعوة يدعوها **لأنهما في الحقيقة يؤولان إلى واحد هو مقصود القدرة ومطلوب القوة** وما من أجله يفضل القوى على الضعيف .

ثم هب إن هذا في الدنيا فكيف تصنعون في الآخرة وقد جاء في الأثر (**يا عبدي أنا أقول للشيء كن فيكون أطعني أجعلك تقول للشيء كن فيكون يا عبدي أنا الحي الذي لا يموت أطعني أجعلك حيا لا تموت**)

وفى أثر (أن المؤمن تأتيه التحف من الله من الحي الذي لا يموت إلى الحي الذي لا يموت) فهذه غاية ليس وراءها مرمى كيف لا وهو بالله يسمع وبه يبصر وبه يبطش وبه يمشى فلا يقوم لقوته قوة) اه

ويذكر ابن تيمية أيضا أن من كرامات الأولياء إحياء الموتى :

فيقول في كتاب النبوات ص٢١٣ : (فآيات الأنبياء مستلزمة لصدقهم وصدق من صدقهم وشهد لهم بالنبوة والآيات التي يبعث الله بها أنبياء قد يكون مثلها لأنبياء أخر **مثل إحياء الموتى فقد كان لغير واحد من الأنبياء وقد يكون إحياء الموتى على يد أتباع الانبياء كما قد وقع لطائفة من هذه الامة ومن أتباع عيسى فإن هؤلاء يقولون نحن إنما أحيى الله الموتى على أيدينا لاتباع محمد أو المسيح** فبايماننا بهم وتصديقنا لهم أحيي الله الموتى على أيدينا فكان إحياء الموتى مستلزما لتصديقه عيسى ومحمدا لم يكن قط مع تكذيبهما فصار آية لنبوتهم) اه

وقال في النبوات أيضا ص ٢١٨ : (فانه لا ريب أن الله خص الأنبياء بخصائص لا توجد لغيرهم ولا ريب أن من آياتهم ما لا يقدر أن يأتي به غير الأنبياء بل النبي الواحد له آيات لم يأت بها غيره من الأنبياء كالعصا واليد لموسى وفرق البحر ، فإن هذا لم يكن لغير موسى وكانشقاق القمر والقرآن وتفجير الماء من بين الأصابع وغير ذلك من الآيات التي لم تكن لغير محمد من الأنبياء ، وكالناقة التي لصالح فإن تلك الآية لم يكن مثلها لغيره وهو خروج ناقة من الأرض ، **بخلاف إحياء الموتى فانه اشترك فيه كثير من الأنبياء بل ومن الصالحين) اه**

وقال في النبوات أيضا ص٢٣٢ : (ولا يقدر أحد من مكذبي الأنبياء أن يأتي بمثل آيات الأنبياء، وأما مصدقوهم فهم معترفون بأن ما يأتون به هو من آيات الأنبياء مع أنه لا تصل آيات الاتباع الى مثل آيات المتبوع مطلقا **وإن كانوا قد يشاركونه في بعضها كاحياء الموتى**

وتكثير الطعام والشراب فلا يشركونه في القرآن وفلق البحر وانشقاق القمر لأن الله فضل الانبياء على غيرهم) اه

وكذلك يذكر ابن كثير أن من كرامات الأولياء إحياء الموتى :

ففي البداية والنهاية ٢٧٣/٦ : (وأما إحياء الطيور الأربعة لإبراهيم عليه السلام فلم يذكره أبو نعيم ولا ابن حامد وسيأتي في إحياء الموتى على يد عيسى عليه السلام **ما وقع من المعجزات المحمدية من هذا النمط ما هو مثل ذلك كما سيأتي التنبيه عليه إذا انتهينا إليه من إحياء أموات بدعوات أمته** وحنين الجذع وتسليم الحجر والشجر والمدر عليه وتكليم الذراع له وغير ذلك) اه

ويذكر ابن تيمية أن من كرامات الأولياء المكاشفة بالغيوب :

فيقول في منهاج السنة ١٣٥/٨ : (أما **الإخبار ببعض الأمور الغائبة** فمن هو دون علي يخبر بمثل ذلك فعلى أجل قدرا من ذلك وفي أتباع أبي بكر وعمر وعثمان من يخبر بأضعاف ذلك وليسوا ممن يصلح للإمامة ولا هم أفضل أهل زمانهم **ومثل هذا موجود في زماننا وغير زماننا**

وحذيفة بن اليمان وأبو هريرة وغيرهما من الصحابة كانوا يحدثون الناس بأضعاف ذلك وأبو هريرة يسنده إلى النبي صلى الله عليه وسلم وحذيفة تارة يسنده وتارة لا يسنده وإن كان في حكم المسند

وما أخبر به هو وغيره قد يكون مما سمعه من النبي صلى الله عليه وسلم **وقد يكون مما كوشف هو به وعمر رضي الله عنه قد أخبر بأنواع من ذلك**

والكتب المصنفة في كرامات الأولياء وأخبارهم مثل ما في **كتاب الزهد للإمام أحمد وحلية الإولياء وصفوة الصفوة وكرامات الأولياء لأبي محمد الخلال وابن أبي الدنيا واللالكائي** فيها من الكرامات عن بعض أتباع أبي بكر وعمر كالعلاء بن الحضرمي نائب أبي بكر وأبي مسلم الخولاني تعض أتباعهما وأبي الصهباء وعامر ابن عبد قيس وغير هؤلاء ممن على أعظم منه وليس في ذلك ما يدل على أنه يكون هو الأفضل من أحد من الصحابة فضلا عن الخلفاء) اه

وقد ذكر الإمام ابن تيمية جملة طيبة من كرامات الأولياء كما في مجموع الفتاوى ٢٧٦/١١ وما بعدها من الصفحات

ويذكر السفاريني في أن الكرامة تجري في قلب الأعيان :

فقال في لوامع الأنوار ٢/ ٣٩٦ : (**يجوز أن تقع ولو كقلب العصا حية وكوجود ولد من غير أب .** ولا يجوز وقوعها بمثل ما اختص به النبي صلى الله عليه وسلم مثل القرآن العظيم الذي هو أعظم المعجزات وأخص الأيات

وقال قو م الكرامات تختص بمثل إجابة دعاء ونحوه . **قال الإمام النووي : وهذا غلط من قائله وإنكار للحس بل الصواب جريانها حتى في قلب الأعيان .) اه**

وقال سلطان العلماء العز بن عبد السلام في قواعده ١١٨/١ : (والعلوم أقسام :

أحدها : الضروريات ولا ثواب عليها لأنها ليست من كسب العالم بها

الثاني : النظريات ويثاب الأنسان عليها لقدرته على تحصيلها بالتسبب إليها

الثالث : **علوم يمنحها الأنبياء والأولياء** بأن يخلقها الله فيهم من غير ضرورة ولا نظر وهي ضربان : أحدهما أشرف من الآخر : وهو العلم بما يتعلق بالذات والصفات وله شرف عظيم ولا ثواب عليه في نفسه ولا على الأحوال الناشئة عنه فإن حدث عنها أمر مكتسب كان الثواب عليه دونها وكفى به شرفا في نفسه وهي كالمحامد التي يلتمسها الرسول عليه السلام بين يدي شفاعته لأمته فكم من شرف عظيم لا ثواب عليه لأنه خير من الثواب فإن النظر إلى الله أشرف من كل شريف وأفضل من كل نعيم روحاني أو جسماني وقد جعل زيادة على الأجور لأنه أعظم من أن يقابل به عمل من الأعمال أو حال من الأحوال وكذلك رضوان الله من أفضل ما أعطيته ولا ثواب عليه

الضرب الثاني : علوم إلهامية يكشف بها عما في القلوب **فيرى أحدهم بعينيه من الغائبات ما لم تجر العادة بسماع مثله وكذلك شمه ومسه ولمسه وكذلك يدرك بقلبه علوما متعلقة بالأكوان** وقد رأى إبراهيم ملكوت السماوات والأرض **ومنهم من يرى الملائكة والشياطين والبلاد النائية بل ينظر إلى ما تحت الثرى ومنهم من يرى السماوات وأفلاكها وكواكبها**

وشمسها وقمرها على ما هي عليه ومنهم من يرى اللوح المحفوظ ويقرأ ما فيه وكذلك يسمع أحدهم صرير الأقلام وأصوات الملائكة والجان ويفهم أحدهم منطق الطير

فسبحان من أعزهم وأدناهم وأذل آخرين وأقصاهم ومن يهن الله فما له من مكرم إن الله يفعل ما يشاء) اه

المسألة الخامسة

خرقة التصوف والانتساب إلى طريقة ([٤])

قال ابن تيمية كما في مجموع الفتاوى ١١/٥١٠ : (فصل : وأما لباس الخرقة التي يلبسها بعض المشايخ المريدين فهذه ليس لها أصل يدل عليها الدلالة المعتبرة من جهة الكتاب والسنة ولا كان المشايخ المتقدمون وأكثر المتأخرين يلبسونها المريدين ولكن طائفة من المتأخرين رأوا ذلك واستحبوه

وقد استدل بعضهم بأن النبي ألبس أم خالد بنت خالد بن سعيد بن العاص ثوبا وقال لها سنا والسنا بلسان الحبشة الحسن وكانت قد ولدت بأرض الحبشة فلهذا خاطبها بذلك اللسان واستدلوا أيضا بحديث البردة التي نسجتها امرأة للنبي فسأله إياها بعض الصحابة فأعطاه إياها وقال أردت أن تكون كفنا لي

وليس في هذين الحديثين دليل على الوجه الذي يفعلونه فإن إعطاء الرجل لغيره ما يلبسه كإعطائه إياه ما ينفعه واخذ ثوب من النبي على وجه البركة كأخذ شعره على وجه البركة وليس هذا كلباس ثوب أو قلنسوة على وجه المتابعة والاقتداء ، ولكن يشبه من بعض الوجوه خلع الملوك التي يخلعونها على من يولونه كأنها شعار وعلامة على الولاية والكرامة ولهذا يسمونها تشريفا

وهذا ونحوه غايته أن يجعل من جنس المباحات فإن اقترن به نية صالحة كان حسنا من هذه الجهة وأما جعل ذلك سنة وطريقا إلى الله سبحانه وتعالى فليس الأمر كذلك

وأما انتساب الطائفة إلى شيخ معين فلا ريب أن الناس يحتاجون من يتلقون عنه الإيمان والقرآن كما تلقى الصحابة ذلك عن النبي وتلقاه عنهم التابعون وبذلك يحصل اتباع السابقين الأولين بإحسان فكما أن المرء له من يعلمه القرآن ونحوه فكذلك له من يعلمه الدين الباطن والظاهر

---

[٤] الطريقة مصطلح مأخوذ من القرآن قال تعالى : (وألوا استقاموا على الطريقة لأسقيناهم ماء غدقا) والطريقة في اصطلاح أهلها هي: (اسم لمنهج احد العارفين في التزكية والأوراد اخذ بها نفسه حتى وصل إلى الله تعالى فينسب هذا المنهج إليه ويعرف باسمه)

ولا يتعين ذلك في شخص معين ولا يحتاج الإنسان في ذلك أن ينتسب إلى شيخ معين وكل من أفاد غيره إفادة دينية هو شيخه فيها وكل ميت وصل إلى الإنسان من أقواله وأعماله وآثاره ما انتفع به في دينه فهو شيخه من هذه الجهة فسلف الأمة شيوخ الخلفاء قرنا بعد قرن

وليس لأحد أن ينتسب إلى شيخ يوالى على متابعته ويعادى على ذلك بل عليه أن يوالى كل من كان من أهل الإيمان ومن عرف منه التقوى من جميع الشيوخ وغيرهم ولا يخص أحدا بمزيد موالات إلا إذا ظهر له مزيد إيمانه وتقواه فيقدم من قدم الله تعالى ورسوله عليه ويفضل من فضله الله ورسوله) اه

وقال كما في مجموع الفتاوي ٤١٦/٣ : (بل **الأسماء التي قد يسوغ التسمي بها:**
مثل انتساب الناس إلى إمام كالحنفي والمالكي والشافعي والحنبلي، **أو إلى شيخ كالقادري والعدوي ونحوهم**، أو مثل الانتساب إلى القبائل كالقيسي واليماني، وإلى الأمصار كالشامي والعراقي والمصري، فلا يجوز لأحد أن يمتحن الناس بها ولا يوالي بهذه الأسماء ولا يعادي عليها بل أكرم الخلق عند الله أتقاهم من أي طائفة كان) اه

بعض من لبس الخرقة أو انتسب لطريقة
من الأئمة المشهورين

والمقصود هو ذكر بعض الأئمة الذي يقبلهم من أخاطبهم بهذه الرسالة وإلا فالذين لبسوا الخرقة من الأئمة لا يحصون كثرة

الإمام الموفق ابن قدامة الحنبلي صاحب المغني :

لبس خرقة التصوف من الشيخ عبد القادر الجلاني فقد ذكر الإمام ابن الملقن في طبقات الأولياء ص ٤٩٤ : أن سنده في لبس خرقة التصوف يمر عبر الموفق ابن قدامة ، حيث أسند ابن الملقن لسبه للخرقة عن أبي بكر الحنبلي عن شيخه إسحاق الواسطي عن الموفق ابن قدامة عن الشيخ عبد القادر الجيلاني

الإمام عبد الغني المقدسي الحنبلي صاحب الكمال في تراجم الرجال :

لبس خرقة التصوف من الشيخ عبد القادر الجلاني أيضا قال العُلَيْمي (ت ٩٢٨ هـ) في المِنْهج الأحْمَد في تراجم أصحاب الإمام أحْمَد ١٩١/٢ : (قالَ الموَفّق [بن قدامة] : لبسْتُ أنَا والحَافِظُ عبْد الغني الخرْقة مِن يَدِ شيْخ الإسْلام عبْد القادِر ، واشتغلنا عليْهِ بالفقِهِ ، وَسمعْنَا مِنْهُ ، وانتفعنَا بصحبَتِهِ ، وَلَمْ نُدْرك مِن حيَاتِهِ غيْرَ خمْسيْنَ ليْلة) اه ([٥])

سلطان العلماء عز الدين بن عبد السلام :

لبس الخرقة من الإمام السهرودي ففي طبقات الشافعية لابن السبكي ٢١٤/٨ : (وحكى القاضي عز الدين الهكاري ابن خطيب الأشمونين في مصنف له ذكر فيه سيرة الشيخ عز الدين أن الشيخ عز الدين أفتى مرة بشيء ثم ظهر له أنه خطأ فنادى في مصر والقاهرة على نفسه من أفتى له فلان بكذا فلا يعمل به فإنه خطأ

وذكر أن الشيخ عز الدين لبس خرقة التصوف من الشيخ شهاب الدين السهروردي وأخذ عنه وذكر أنه كان يقرأ بين يديه رسالة القشيري فحضره مرة الشيخ أبو العباس المرسي لما قدم من الإسكندرية إلى القاهرة فقال له الشيخ عز الدين تكلم على هذا الفصل فأخذ المرسي يتكلم والشيخ عز الدين يزحف في الحلقة ويقول اسمعوا هذا الكلام الذي هو حديث عهد بربه، **وقد كانت للشيخ عز الدين اليد الطولى في التصوف وتصانيفه قاضية بذلك**) اه

الإمام ابن الصلاح

قال السيوطي في كتابه تأييد الحقيقة العلية ص١٣: (**قال ابن الصلاح: ولي في لبس الخرقة اسناد عالي جدا ألبسني الخرقة أبو الحسن المؤيد بن محمد الطوسي** قال أخذت الخرقة من أبي اللأسعد هبة الرحمن ابن أبي سعيد عبد الرحمن بن أبي القاسم القشيري قال أخذت الخرقة من جدي ابي القاسم و هو أخذها من أبي علي الدقاق و هو أخذها من أبي القاسم ابراهيم بن محمد بن حمويه النصراباذي و هو أخذها من ابي بكر دلف بن جحدر الشبلي و

---

[٥] ولبعض إخواننا من الحنابلة رسالة في (من لبس الخرقة من الحنابلة)

هو أخذها من الجنيد و هو أخذها من السري السقطي و هو أخذها من معروف الكرخي و هو أخذها من داود الطائي و هو أخذها من حبيب العجمي و هو اخذها من الحسن البصري و هو أخذها من على بن أبي طالب و هو اخذها من النبي صلى الله عليه و سلم .
قال ابن الصلاح وليس بقادح فيما أوردناه كون لبس الخرقة غير متصل إلى منتهاه على شرط أصحاب الحديث في الأسانيد **فإن المراد ما تحصل به البركة والفائدة باتصالها بجماعة من السادة الصالحين**)اه

الإمام ابن تيمية

في مجلة طريق الحق الصادرة في شهر رجب (سنة ١٣٩٦هـ) (ص١٧) ذكر الشيخ محمد الحافظ التيجاني سند الإمام **ابن تيمية في الفقه الحنبلي والطريقة القادرية فقال:** (أحببنا نشر هذا السند ليتضح ذلك لمن أراد الإنصاف، قال الإمام محمد بن محمد بن سليمان الروداني في ص١٣٠ من (ظهر سلسلة الفقه الحنبلي): **أخذته [أي الفقه الحنبلي] مع الطريقة القادرية** إذنا عن قدوة الحنابلة في زمانه علما وعملا أبى عبد الله محمد بدر الدين البلبانى الصالحى وكتب لي سلسلته **فقال: أروى الفقه والطريقة القادرية** وغيرهما مما يجوز لي وعنى روايته عن شيخ الإسلام الشهاب بن على الوفائى المفلحى ، عن شرف الدين موسى بن سا لم الحجاوى وعن القاضي برهان الدين بن مفلح، وهما عن والده نجم الدين بن مفلح، عن والده القاضي برهان الدين صاحب الفروع ، عن جده شرف الدين، **عن عبد الله بن مفلح والشيخ تقي الدين بن تيمية** والأول عن جده قاضى القضاة جمال الدين المردوى عن التقى سليمان بن حمزة ، **والثاني عن شمس الدين بن أبى عمر عن عمه موفق الدين بن قدامة ، وهو والتقى بن حمزة عن قطب المذهبين مولانا الشيخ عبد القادر الكيلانى** ، عن الإمام محفوظ أبى الخطاب عن القاضي أبى يعلى ،عن مولانا الحسن بن حامد ، مولانا أبى بكر عبد العزيز ، محمد بن محمد الخلال ، عن أبى بكر المرزوى ، عن الإمام المبجل أبى عبد الله احمد بن محمد بن حنبل عن سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار عن ابن عمر وابن عباس رضي الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، **أي إن ابن تيمية اخذ الطريقة القادرية والعلوم**

والفقه عن موفق الدين بن قدامة عن مولانا الشيخ عبد القادر الكيلاني رضي الله عنه)انتهى كلام الشيخ محمد الحافظ

وللمستشرق جورج مقدسي([6]) المتخصص في دراسة المذهب الحنبلي ومدرسة الحنابلة، مقالات([7]) نشرت عام ١٩٧٠م بعنوان (**ابن تيمية صوفي من الطريقة القادرية**) وعنوان (**المدرسة الحنبلية والتصوف**) ومما جاء فيها: (أن الإمام يوسف بن عبد الهادي الحنبلي([8]) المتوفى سنة ٩٠٩هـ ذكر في كتاب له اسمه (**بدء العلقة بلبس الخرقة**)[9] الإمامَ **ابن تيمية ضمن سلسة الطريقة القادرية مع غيره من شيوخ الحنابلة**.

وذكر ابن عبد الهادي هذا سند الخرقة كالتالي: (...ابن القيم ٧٥١هـ عن ابن تيمية ٧٢٨ هـ عن ابن أبي عمر ابن قدامة ٦٨٢ هـ عن موفق الدين ابن قدامة٦٢٠ هـ عن أبي عمر ابن قدامة ٦٠٧ هـ عن الشيخ عبد القادر الجيلاني ٥٦١ هـ)اه

ثم قال المستشرق : (وقال ابن رجب (٧٩٥هـ) : (وقد أخذ أبو عمر وأخوه ابن قدامة الخرقة من الشيخ عبد القادر نفسه)اه

ثم قال المستشرق السابق: (وقال ابن تيمية في (المسائل التبريزية) وهي مخطوطة في الظاهرية بدمشق برقم (**١١٨٦/ ١٢**): (**لبست الخرقة المباركة للشيخ عبد القادر وبيني وبينه اثنان**)اه

---

[6]) جورج مقدسي مستشرق من أصل لبناني من تلاميذ المستشرق هنري لاوست، وكلاهما متخصص في دراسة التراث السلفي وأئمته ومدارسه على مختلف العصور، وأستاذه ألصق بدراسة ما يتعلق بابن تيمية، وجورج ألصق بدراسة تراث ابن عقيل

[7]) ما ذكرناه من مقتطفات من مقالات جورج مقدسي مأخوذ من ملتقى أهل الحديث السلفي على الانترنت

[8]) هو غير ابن عبد الهادي تلميذ ابن تيمية صاحب الصارم المنكي فهذا متأخر عنه وذلك اسمه محمد وهذا اسمه يوسف وهو حنبلي في الفروع الفقهية والأصول العقدية وقادري الطريقة الصوفية

[9]) رسالة (بدء العلقة) ليوسف بن عبد الهادي طبعت في دار الرازي بعمَّان ضمن رسائل من التراث الصوفي عام ١٤٢٣هـ، بتحقيق الدكتور إحسان ذنون الثامري، والدكتور محمد عبد الله القدحات ذكر ذلك عبد الله البطاطي في مقدمة تحقيقه لكتاب (مقبول المنقول من علمي الجدل والأصول) (ص ٥٥)

وذكر المستشرق أيضا: أن يوسف ابن عبد الهادي نقل في نفس الكتاب السابق الذكر عن ابن ناصر الدين أنه قال: (وأحد طرقها التي بها نقلت إلينا ولله الحمد **وصلت الطريقة التي أشار إليها بقية الأعلام وأحد مشايخ الإسلام تقي الدين أبو العباس أحمد بن تيمية رحمه الله قال: وقد كنت لبست خرقة التصوف من طرف جماعة من الشيوخ** من جملتهم الشيخ عبد القادر الجيلي وهي أجل الطرق المشهورة، وقال مرة: فأجل الطرق طريق سيدي عبد القادر الجيلي رحمة الله عليه)اهـ

فإن قيل: هناك كلام للإمام ابن تيمية في تضعيف سند الخرقة إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وأنه ليس لاستحبابها مستند شرعي، فكيف يلبس بعد ذلك الخرقة؟

فالجواب: أن هناك فرقا بين لبس الخرقة على سبيل الانتساب لطريقة وهو ما يستحسنه ابن تيمية إذا حسنت فيه النية كما تقدم، وبين تصحيح سند الخرقة وكونها قد دل على استحبابها الدليل الشرعي وهو ما ينكره ابن تيمية، فالخلاصة أن سند الخرقة عنده ضعيف وليس على استحبابها دليل شرعي ولكنه مع ذلك يستحسنها إذا حسنت فيها النية، وهناك آخرون من أهل العلم يرون ضعف سند الخرقة ومع ذلك لبسوها تبركا كما تقدم عن ابن الصلاح، لأنه لا تلازم بين ضعف إسنادها واستحسانها

الإمام الذهبي :

لبس الخرقة من الإمام ضياء الدين الأنصاري عن الإمام السهوردي ، يقول الإمام الذهبي عن نفسه في سير أعلام النبلاء ٣٧٧/٢٢ : (**ألبسني خرقة التصوف شيخنا المحدث الزاهد ضياء الدين عيسى بن يحيى الأنصاري بالقاهرة** ، وقال : ألبسنيها الشيخ شهاب الدين السهروردي [هو صاحب عوارف المعارف] بمكة ، عن عمه أبي النجيب) اه

وقال في تاريخ الإسلام ٤٦٨٩/١ : (قلت : **وقد لبست الخرقة بالقاهرة من الشيخ ضياء الدين عيسى بن يحيى الأنصاري السبتي** وقال : ألبسنيها الشيخ شهاب الدين بمكة في سنة سبع وعشرين وستمائة)اه

وفي معجم شيوخه قال الذهبي ٨٧/٢ وفي نسخة ص ١٣٢ : (عيسى بن يحي بن أحمد بن مسعود الإمام الفقيه المحدث المفيد ضياء الدين أبو الهدى الانصاري المغربي السبتي الشافعي

الصوفي ... **ولبس فيما ذكر الخرقة من الشهاب السهوردي** بمكة سنة سبع وعشرين **فلبستها منه**) اه

الإمام الشوكاني :

تلقن الذكر على الطرقة النقشبندية ، قال في البدر الطالع ١/ ٤٠٦ وما بعدها : في ترجمة السيد عبد الوهاب بن محمد شاكر الحسنى من قبل الأم الحسيني من قبل الأب

(وقدم علينا إلى صنعاء في سنة ١٢٣٤ وكثر اتصاله بي **وهو جامع بين علم الأديان والأبدان جيد الفهم فصيح اللسان حسن العبارة حسن الإشارة** قد عرف كثيرا من البلاد كمصر والشام والعراق والحرمين ودخل إلى الروم دفعات واتصل بعلماء البلاد وأعيانها وملوكها وأخبرنا عن هذه البلاد وأهلها بأحسن الأخبار مع صدق لهجة وتحر للصدق وكتب إلي من شعره بنظم فائق رائق

ومن جملة ما خبرنا به من خبر عجيب ونبأ غريب وهو أنه وجد في جبل قيسون من جبال الشام رجل من الجن يقال له قاضى الجن واسمه شمهورش وأنه أدرك الإمام محمد بن إسماعيل البخاري وأخذ عنه فاخبرنا صاحب الترجمة قال أخبرنا السيد إسماعيل بن عبد الله الأيدين جكلي نسبة إلى قرية بالروم قال أخبرنا أحمد بن محمد المنيني نزيل دمشق الشام قال أخبرنا عبد الغنى بن إسماعيل النابلسي عن القاضي شمهورش قاضى الجن بصحيح البخاري عن البخاري... **وقد تلقيت عنه الذكر على الطريقة النقشبندية**) **اه**

الإمام حسن البنا

فقد كان مواضبا على أوراد الطريقة الحصافية الشاذلية، قال كما في مذكرات الدعوة والداعية ص١٩ : (**الطريقة الحصافية** :

وفي المسجد الصغير رأيت الإخوان الحصافية يذكرون الله تعالى عقب صلاة العشاء من كل ليلة، وكنت مواظبا على حضور درس الشيخ زهران رحمه الله بين المغرب والعشاء، **فاجتذبني حلقة الذكر بأصواتها المنسقة ونشيدها الجميل وروحانيتها الفياضة، وسماحة**

هؤلاء الذاكرين من شيوخ فضلاء وشباب صالحين، وتواضعهم لهؤلاء الصبية الصغار الذين اقتحموا عليهم مجلسهم ليشاركوهم ذكر الله تبارك وتعالى، **فواظبت عليها هي الأخرى** .

وتوطدت الصلات بيني وبين شباب هؤلاء الإخوان الحصافية ومن بينهم الثلاثة المقدمون: الشيخ شلبي الرجال والشيخ محمد أبو شوشة والشيخ سيد عثمان، والشبان الصالحون الذين كانوا أقرب الذاكرين إلينا في السن: محمد أفندي الدمياطي وصاوي أفندي الصاوي وعبد المتعال أفندي سنكل، وأضرابهم. وفي هذه الحلبة المباركة التقيت لأول مرة بالأستاذ أحمد السكري – وكيل الإخوان المسلمين – فكان لهذا اللقاء أثره البالغ في حياة كل منا.

ومنذ ذلك الحين أخذ اسم الشيخ الحصافي يتردد على الأذن فيكون له أجل وقع في أعماق القلب وأخذ الشوق والحنين إلى رؤية الشيخ والجلوس إليه والأخذ عنه يتجدد حينا بعد حين، **وأخذت أواظب على الوظيفة الروحية صباحا ومساء**، وزادني بها إعجابا أن الوالد قد وضع عليها تعليقا لطيفا جاء فيه بأدلة صيغها جميعا تقريبا من الأحاديث الصحيحة وسمى هذه الرسالة تنوير الأفئدة الزكية بأدلة أذكار الرزوقية ولم تكن هذه الوظيفة أكثر من آيات من الكتاب الكريم، وأحاديث من أدعية الصباح والمساء التي وردت في كتب السنة تقريبا، ليس فيها شئ من الألفاظ الأعجمية أو التراكيب الفلسفية أو العبارات التي هي إلى الشطحات أقرب منها إلى الدعوات.

وفي هذه الأثناء وقع في يدي كتاب المنهل الصافي في مناقب حسنين الحصافي **وهو شيخ الطريقة الأول** – ووالد شيخها الحالي السيد الجليل الشيخ عبد الوهاب الحصافي مد الله في عمره ونفع الله به – والذي توفي ولم أره حيث كانت وفاته الخميس ١٧ من جمادى الآخرة ١٣٢٨ الهجرية، وكنت إذ ذاك في سن الرابعة عشرة فلم أجتمع به على كثرة تردده على البلد فأقبلت على القراءة فيه وعرفت منه كيف كان السيد حسنين رحمه الله عالما أزهريا تفقه على مذهب الإمام الشافعي ودرس علوم الدين دراسة واسعة وامتلأ منها وتضلع فيها **ثم تلقى بعد ذلك الطريق على كثير من شيوخ عصره، وجد واجتهد في العبادة والذكر والمداومة على الطاعات** حتى إنه حج أكثر من مرة وكان يعتمر مع كل حجة اكثر من عمرة. وكان رفقاؤه وأصحابه يقولون ما رأينا أقوى على طاعة الله وأداء الفرائض والمحافظة على السنن والنوافل منه – رحمه الله – حتى في آخر أيام حياته وقد كبرت سنه ونيف عن الستين...)اه

وقال الشيخ حسن البنا ص٢٤ من المذكرات: (وظللت معلق القلب بالشيخ – رحمه الله – حتى التحقت بمدرسة المعلمين الأولية بدمنهور وفيها مدفن الشيخ وضريحه وقواعد مسجده الذي لم يكن تم حينذاك، وتم بعد ذلك، **فكنت مواظبا على الحضرة في مسجد التوبة في كل ليلة** وسألت عن مقدِّم الإخوان فعرفت أنه الرجل الصالح التقي الشيخ بسيوني العبد التاجر، **فرجوته أن يأذن لي بأخذ العهد عليه ففعل**، ووعدني بأنه سيقدمني للسيد عبد الوهاب عند حضوره، **ولم أكن إلى هذا الوقت قد بايعت أحدا في الطريق بيعة رسمية وإنما كنت محبا وفق اصطلاحهم**.

وحضر السيد عبد الوهاب – نفع الله به – إلى دمنهور وأخطرني الإخوان بذلك فكنت شديد الفرح بهذا النبأ، وذهبت إلى الوالد الشيخ بسيوني ورجوته أن يقدمني للشيخ ففعل، وكان ذلك عقب صلاة العصر من يوم ٤ رمضان سنة ١٣٤١ الهجرية وإذا لم تخني الذاكرة، فقد كان يوافق يوم الأحد **حيث تلقيت الحصافية الشاذلية عنه وأدبني بأدوارها**

وجزى الله عنا السيد عبد الوهاب خير الجزاء، **فقد أفادتني صحبته أعظم الفائدة وما علمت عليه في دينه وطريقه إلا خيرا، وقد امتاز في شخصيته وإرشاده ومسلكه بكثير من الخصال الطيبة**: من العفة الكاملة عما في أيدي الناس، ومن الجد في الأمور والتحرر من صرف الأوقات في غير العلم أو التعلم أو الذكر أو الطاعة أو التعبد سواء أكان وحده أم مع إخوانه ومريديه، ومن حسن التوجيه لهؤلاء الإخوان وصرفهم عمليا إلى الأخوة والفقه وطاعة الله. **وأذكر من أساليبه الحكيمة في التربية أنه لم يكن يسمح للإخوان المتعلمين أن يكثروا الجدل في الخلافيات أو المشتبهات من الأمور...**)اه.

إلى أن قال في مذكرات الدعوة والداعية (ص٢٥): (واستمرت صلتنا على أحسن حال بشيخنا السيد عبد الوهاب حتى أنشئت جمعيات الإخوان المسلمين وانتشرت، وكان له فيها رأي ولنا فيها رأي، وانحاز كل إلى رأيه، **ولا زلنا نحفظ للسيد – جزاه الله عنا خيرا – أجل ما يحفظ مريد محب مخلص لشيخ عالم عامل تقي، نصح فأخلص النصيحة وأرشد فأحسن الإرشاد.**)اه

هذا آخر المطاف والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد آله وصحبه وأتباعه

عبد الفتاح بن صالح قديش اليافعي

اليمن – صنعاء

المحتويات

التعريف بالمؤلف

الاسم: عبد الفتاح بن صالح بن محمد قديش اليافعي

محل وتاريخ الميلاد: اليمن –يافع– ١٣٩٤ من الهجرة– ١٩٧٤ من الميلاد

الحالة الاجتماعية: متزوج وأب لستة من الأولاد، أربعة أبناء وبنتين

العنوان الحالي: اليمن –صنعاء– e-mail: afattah31@hotmail.com

تلفون سيار: ٠٠٩٦٧٧١١٤٥٦٦٠٨

المؤهل الحالي: ماجستير في أصول الدين –جامعة وادي النيل–السودان

العمل الحالي: المشرف العام على مركز الخيرات (العلمي–الدعوي–الخيري–الثقافي) وإمام وخطيب مسجد الخيرات –اليمن–صنعاء–حي المطار

الأعمال التي تم شغلها:

- عضو الإفتاء بوزارة الأوقاف القطرية (الشبكة الإسلامية)
- عضو بعثة الحج القطرية للإفتاء والوعظ والإرشاد
- المشاركة في برنامج آفاق إيمانية (فضائية أبو ظبي)
- المشاركة في برنامج الأمة الوسط (قناة الإيمان اليمنية)
- ضيف دائم في برنامج يسألونك (قناة السعيدة الفضائية)
- إعداد وتقديم برنامج البنيان المرصوص (إذاعة القرآن الكريم بقطر)
- المشاركة في برنامج فتاوى مع أولي العلم (إذاعة صنعاء)
- عضو مجلس الشرف في جامعة الإيمان –صنعاء
- عضو مجلس الشورى في جمعية الإحسان الخيرية –اليمن
- أمين عام جمعية الإحسان الخيرية –يافع
- رئيس مجلس الرقابة والتفتيش بجمعية الإحسان –يافع
- التدريس في معهد الهدى الثانوي للعلوم الشرعية –يافع
- مدير مركز الفرقان (العلمي–الدعوي) يافع
- التدريس في مركز الفرقان (العلمي–الدعوي) يافع
- التدريس في دار الحديث الخيرية بدماج –صعدة

- إقامة الدورات الصيفية العلمية
- إقامة المحاضرات والندوات والمواعظ
- عضو المجلس العلمي بموقع منارة الشريعة
- المشرف العام على مركز الخيرات (العلمي–الدعوي –الخيري –الثقافي) صنعاء
- إمام وخطيب مسجد الفرقان –يافع
- إمام وخطيب مسجد الهيدوس –الدوحة – قطر
- إمام وخطيب مسجد الخيرات –اليمن –صنعاء
- المشاركة في كثير من المؤتمرات داخل اليمن وخارجها

مشايخ التلقي بحسب حروف الهجاء:

١– فضيلة الشيخ أحمد بن سعيد القدسي (أصول الحديث) (صعدة)

٢– فضيلة الشيخ إلبو ولد المصطفى الشنقيطي (الصرف) (قطر)

٣– فضيلة الشيخ صادق الكردي العراقي (أصول الفقه–النحو) (قطر)

٤– فضيلة الشيخ صالح بن محمد الأسمري (الفقه–أصول الفقه–العقيدة) (الرياض)

٥– فضيلة الشيخ عبد الرحمن مرعي العدني (الفقه– العقيدة) (عدن)

٦– فضيلة الشيخ عبد الله بن أحمد المرفدي (الفقه) (عدن)

٧– فضيلة الشيخ علي بن محمد بارويس (مقاصد الشريعة) (عدن)

٨– فضيلة الشيخ الدكتور عمر بن عبد العزيز الكردي (أصول الفقه) (قطر)

٩– فضيلة الشيخ عمر بن محمد بن حفيظ (تزكية وسلوك) (حضرموت)

١٠– فضيلة الشيخ عوض البكالي (النحو) (صعدة)

١١– فضيلة الشيخ محمد عبد العلي الباره بنكوي اللكنوي (القرآن قراءة حفص) (قطر)

١٢– فضيلة الشيخ الدكتور مصطفى محمود البنجويني (المنطق–البحث والمناظرة–البلاغة) (قطر)

١٣– فضيلة الشيخ الدكتور مصطفى ديب البغا (الفقه–قواعد الفقه) (دمشق)

١٤– فضيلة الشيخ مقبل بن هادي الوادعي (الحديث–التفسير) (صعدة–رحمه الله)

١٥– وغيرهم

مشايخ الإجازة بحسب حروف الهجاء:

١- فضيلة الشيخ أبو بكر العدني بن علي المشهور (عدن)

٢- فضيلة الشيخ أحمد الدوغان الأحسائي (الأحساء)

٣- فضيلة الشيخ أحمد بن جابر جبران الضحوي ثم المكي (مكة–رحمه الله)

٤- فضيلة الشيخ أحمد بن عبد الرحمن القديمي (تهامة)

٥- فضيلة الشيخ محمد إلياس الباره بنكوي (الهند)

٦- فضيلة الشيخ جعفر بن محمد السقاف (حضرموت)

٧- فضيلة الشيخ الدكتور حسن بن محمد مقبول الأهدل (صنعاء)

٨- فضيلة الشيخ حسين بن أحمد بن علوي بن علي الحبشي (حضرموت)

٩- فضيلة الشيخ حمود شميلة الأهدل (تهامة)

١٠-فضيلة الشيخ ذو الكفل بن إسماعيل البرليسي (أندونيسيا)

١١-فضيلة الشيخ زين بن سميط (المدينة)

١٢-فضيلة الشيخ زين العابدين الأعظمي (الهند)

١٣-فضيلة الشيخ سالم بن عبد الله الشاطري (حضرموت)

١٤-فضيلة الشيخ محمد سالم القاسمي (الهند)

١٥-فضيلة الشيخ سعد العيدروس (حضرموت)

١٦-فضيلة الشيخ سعيد بالمبوري (الهند)

١٧-فضيلة الشيخ سفيان نور مربو عبد الله طيب (أندونيسيا)

١٨-فضيلة الشيخ سلمان أبو غدة (جدة)

١٩-فضيلة الشيخ سلمان الحسني الندوي (الهند)

٢٠-فضيلة الشيخ سهل بن إبراهيم بن عقيل (تعز)

٢١-فضيلة الشيخ محمد شاهد السهارنفوري (الهند)

٢٢-فضيلة الشيخ صالح بن أحمد الغرسي (تركيا)

٢٣-فضيلة الشيخ صالح البيض (صنعاء)

٢٤-فضيلة الشيخ صالح بن محمد الأسمري (الرياض)

٢٥- فضيلة الشيخ محمد طيب الديوبندي (الهند)

٢٦- فضيلة الشيخ محمد عاقل السهارنفوري (الهند)

٢٧- فضيلة الشيخ عبد الحكيم مراد (بريطانيا)

٢٨- فضيلة الشيخ عبد الرحمن الوشلي (تهامة)

٢٩- فضيلة الشيخ عبد الرحمن شميلة الأهدل (تهامة)

٣٠- فضيلة الشيخ عبد القادر العيدروس (كينيا)

٣١- فضيلة الشيخ عبد الله بن أحمد الناخبي (جدة)

٣٢- فضيلة الشيخ عبد الله باهارون (حضرموت)

٣٣- فضيلة الشيخ عبد الله بن علوي بن شهاب (حضرموت)

٣٤- فضيلة الشيخ عبد الله بن عمر الأهدل (تهامة)

٣٥- فضيلة الشيخ علي الزيلعي (تهامة)

٣٦- فضيلة الشيخ علي المشهور بن حفيظ (حضرموت)

٣٧- فضيلة الشيخ علي المضوني (تهامة)

٣٨- فضيلة الشيخ على بن عبد الرحمن القديمي (تهامة)

٣٩- فضيلة الشيخ علي بن عبد الرحمن الجفري (الإمارات)

٤٠- فضيلة الشيخ علي بن عبد الله الأهدل (مكة—رحمه الله)

٤١- فضيلة الشيخ علي بن محمد العطاس (حضرموت)

٤٢- فضيلة الشيخ عمر بن حامد الجيلاني (مكة)

٤٣- فضيلة الشيخ عمر بن محمد بن حفيظ (حضرموت)

٤٤- فضيلة الشيخ قاسم بحر القديمي (صنعاء)

٤٥- فضيلة الشيخ ماجد رحمت الله (المدرسة الصولتية-مكة)

٤٦- فضيلة الشيخ مجد بن أحمد مكي (جدة)

٤٧- فضيلة الشيخ محمد بن إسماعيل العمراني (صنعاء)

٤٨- فضيلة الشيخ محمد البيض (كينيا)

٤٩- فضيلة الشيخ محمد بن حسين القديمي (مكة)

٥٠- فضيلة الشيخ محمد سعيد رمضان البوطي (سوريا)

٥١- فضيلة الشيخ محمد بن عبد الله الجنيد (حضرموت)

٥٢- فضيلة الشيخ محمد بن عبد الله آل رشيد (الرياض)

٥٣- فضيلة الشيخ الدكتور محمد طاهر القادري (باكستان)

٥٤- فضيلة الشيخ محمد عبد العلي الباره بنكوي اللكنوي (قطر)

٥٥- فضيلة الشيخ محمد عزي الأهدل الإدريسي (تهامة)

٥٦- فضيلة الشيخ محمد بن علي البطاح (تهامة)

٥٧- فضيلة الشيخ محمد بن علي عجلان (صنعاء)

٥٨- فضيلة الشيخ محمد بن عمر آدم السقاف (حضرموت)

٥٩- فضيلة الشيخ محمد عوامة (المدينة)

٦٠- فضيلة الشيخ محمد بن الفضل الأمين البحر (تهامة)

٦١- فضيلة الشيخ محمد فقيرة (تهامة)

٦٢- فضيلة الشيخ محمد نمر الخطيب (المدينة)

٦٣- فضيلة الشيخ مساعد البشير (السودان)

٦٤- فضيلة الشيخ الدكتور مصطفى ديب البغا (دمشق)

٦٥- فضيلة الشيخ الدكتور نبيل بن هاشم الغمري (مكة)

٦٦- فضيلة الشيخ نعمة الله الأعظمي (الهند)

٦٧- فضيلة الشيخ نصير أحمد خان (الهند)

٦٨- فضيلة الشيخ وليد بن عبد اللطيف العرفج الأحسائي (الأحساء)

٦٩- فضيلة الشيخ يحي البحر الأهدل (تهامة)

٧٠- فضيلة الشيخ يحي بن أبي بكر الملا الأحسائي (الأحساء)

٧١- فضيلة الشيخ الدكتور يحي بن عبد الرزاق الغوثاني (جدة)

٧٢- فضيلة الشيخ محمد يونس الجنفوري (الهند)

٧٣- وغيرهم

مشايخ المذاكرة بحسب حروف الهجاء:

١- فضيلة الشيخ الدكتور خليل ملا خاطر (المدينة)

٢- فضيلة الشيخ صادق حبنكة الميداني (دمشق)

٣- فضيلة الشيخ الدكتور عبد الرحمن حبنكة الميداني (دمشق—رحمه الله)

٤- فضيلة الشيخ الدكتور عبد الله الفقيه الشنقيطي (قطر)

٥- فضيلة الشيخ عبد الله بن فيصل الأهدل (حضرموت)

٦- فضيلة الشيخ عبد الله بن محمد الحاشدي (صنعاء)

٧- فضيلة الشيخ عبد المجميد الريمي (صنعاء)

٨- فضيلة الشيخ عبد المجيد الزنداني (صنعاء)

٩- فضيلة الشيخ الدكتور محمد الحسن البغا (دمشق)

١٠- فضيلة الشيخ محمد الحسن الددو (مريتانيا)

١١- فضيلة الشيخ محمد بن موسى البيضاني (صنعاء)

١٢- فضيلة الشيخ محمد كريم راجح (دمشق)

١٣- فضيلة الشيخ مطصفى بن إسماعيل أبو الحسن المصري (مأرب)

١٤- فضيلة الشيخ الدكتور مصطفى بن سعيد الخن (دمشق)

١٥- فضيلة الشيخ الدكتور يحي اليحي (المدينة)

١٦- وغيرهم

المؤلفات بحسب حروف الهجاء:

١- الأحاديث الواردة في فضائل اليمن وأهله جمع ودراسة (عجل الله بإتمامه وطبعه)

٢- البدعة الإضافية بين المجيزين والمانعين دراسة مقارنة (مطبوع مؤسسة الرسالة ناشرون)

٣- التبرك بالصالحين بين المجيزين والمانعين دراسة مقارنة (مطبوع مؤسسة الرسالة ناشرون)

٤- التجسيم والمجسمة وموقف السلف والأئمة منهما (مطبوع مؤسسة الرسالة ناشرون)

٥- تعطير الأنام بذكر من رأى ربه في المنام (مطبوع مؤسسة الرسالة ناشرون)

٦- التمذهب وأحكامه دراسة مقارنة (بحث الماجستير—مطبوع—مؤسسة الرسالة ناشرون)

٧- التوسل بالصالحين بين المجيزين والمانعين دراسة مقارنة (هذا البحث)

٨- شد الرحل لزيارة القبر الشريف بين المجيزين والمانعين دراسة مقارنة (مطبوع ضمن مجموع الرسائل (مواهب الكريم الفتاح)

٩- صيد القلم (فوائد متفرقة) (عجل الله بإتمامه ونشره)

١٠-الفوات والإحصار وأحكامهما دراسة مقارنة (هو ضمن الرسائل المجموعة)

١١-في الطريق إلى الألفة الإسلامية (محاولة تأصيلية ورؤية جديدة) (مطبوع مؤسسة الرسالة ناشرون)

١٢-القرآن قديم أم محدث؟ في مذهب أهل الحديث والحنابلة (مطبوع مؤسسة الرسالة ناشرون)

١٣-مقولة: ما عبدتك طمعا في جنتك ولا خوفا من نارك، بين الفهم السليم والفهم السقيم (مطبوع مؤسسة الرسالة ناشرون)

١٤-مجموع الفتاوي (عجل الله بطبعه)

١٥-مذكرة في مصطلح الحديث (عجل الله بطبعها)

١٦-مسائل في التصوف (عجل الله بطبعه)

١٧-المنهجية العامة في العقيدة والفقه والسلوك (مطبوع—دار الجيل-صنعاء) و(مطبوع مؤسسة الرسالة ناشرون)

١٨-مواهب الكريم الفتاح (مجموع رسائل عبد الفتاح) مطبوع مؤسسة الرسالة ناشرون

١٩-وغيرها

الأبحاث والمقالات بحسب حروف الهجاء:

١- الأخذ من اللحية دراسة مقارنة (ضمن الرسائل المجموعة)

٢- افتتاح خطبتي العيد بالتكبير دراسة فقهية (ضمن المجموعة الأولى من الرسائل)

٣- تأدية النوافل في السفر دراسة مقارنة (ضمن الرسائل المجموعة)

٤- تعليق حول اعتبار الأشاعرة والماتريدية من أهل السنة (ضمن المجموعة الأولى من الرسائل)

٥- التفسير الإشاري دراسة تأصيلية (ضمن المجموعة الأولى من الرسائل)

٦- التكبير الجماعي والذكر الجماعي دراسة مقارنة (ضمن المجموعة الأولى من الرسائل)

٧- تكرار العمرة دراسة فقهية (ضمن المجموعة الأولى من الرسائل)
٨- حكم اتخاذ السبحة والذكر بها دراسة مقارنة (ضمن المجموعة الأولى من الرسائل)
٩- حكم التجسيم والمجسمة في المذاهب الأربعة دراسة فقهية مقارنة (ضمن المجموعة الأولى من الرسائل)
١٠- حكم تعدد الحكام والدول الإسلامية دراسة فقهية (ضمن المجموعة الأولى من الرسائل)
١١- حكم جهاد الاحتلال في المذاهب الثمانية دراسة فقهية (ضمن المجموعة الأولى من الرسائل)
١٢- حكم سب الصحابة في المذاهب الأربعة (ضمن المجموعة الأولى من الرسائل)
١٣- حكم قتل المدنيين في المذاهب الأربعة، دراسة فقهية (ضمن المجموعة الأولى من الرسائل)
١٤- حكم القول بخلق القرآن في المذاهب الأربعة (ضمن المجموعة الأولى من الرسائل)
١٥- الحلف بغير الله دراسة مقارنة (ضمن الرسائل المجموعة)
١٦- الذكر بالاسم المفرد دراسة مقارنة (ضمن المجموعة الأولى من الرسائل)
١٧- رفع اليدين بالدعاء بعد المكتوبة والدعاء الجماعي دراسة مقارنة (ضمن المجموعة الأولى من الرسائل)
١٨- رمي الجمار قبل الزوال دراسة مقارنة (ضمن المجموعة الأولى من الرسائل)
١٩- الصلاة في مسجد فيه قبر دراسة مقارنة (ضمن الرسائل المجموعة)
٢٠- صوم شهر رجب دراسة مقارنة (ضمن المجموعة الأولى من الرسائل)
٢١- الضرب بالدف دراسة مقارنة (ضمن الرسائل المجموعة)
٢٢- العدل بين الزوجات فيما زاد على النفقة الواجبة دراسة فقهية (ضمن الرسائل المجموعة)
٢٣- العلم المرفوع (التزكية والسلوك) (ضمن الرسائل المجموعة) ومطبوع مفردا بمركز عبادي للنشر- صنعاء
٢٤- قول صدق الله العظيم بعد التلاوة دراسة فقيهة (ضمن المجموعة الأولى من الرسائل)
٢٥- قيام ليلة النصف من شعبان وليلتي العيد دراسة مقارنة (ضمن المجموعة الأولى من الرسائل)
٢٦- مسح الوجه باليدين بعد الدعاء دراسة مقارنة (ضمن المجموعة الأولى من الرسائل)

٢٧- نسيان القرآن بعد حفظه دراسة فقهية (ضمن المجموعة الأولى من هذه الرسائل)

٢٨- هل العمل شرط في صحة الإيمان في مذهب الحنابلة وأهل الحديث؟ (ضمن الرسائل المجموعة)

٢٩- هل الفطرة دليل؟! دراسة تأصيلية (ضمن المجموعة الأولى من الرسائل)

٣٠- وغيرها

الرحلات العلمية والدعوية:

داخل اليمن:

صنعاء—عدن—حضرموت—صعدة—الحديدة—إب—لحج—يافع—أبين—المراوعة—زبيد—بيت الفقيه—الضحي—الزيدية—مأرب—ذمار—البيضاء—تعز—حجة- وغيرها

خارج اليمن:

السعودية— قطر—سوريا- بنجلادش- الهند- ماليزيا — اندونيسيا — مصر- كينيا- الأردن- الإمارات- السودان